الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٦ - ١٧ ديسمبر سنة ١٩٣٤ - السنة الثانية

2 me Année, No. 76.

Lundi-17-12-1934

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم | ٤٢٣٩٠ | ٤٠٥٣٠

العـــدد ٧٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ رمضان سنة ١٣٥٣ — ١٧ ديسمبر سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

أثر السياسة الحزبية
فى الأخلاق

للأستاذ عبد العزيز البشرى

لقد عاهدت نفسى من عهد غير قريب على ألاّ أعالج عملاً سياسياً من أى نوع كان ، وأن أكتم قلمى فلا يتنفّس بحديث السياسة أبداً ، فاننى لم أصب من هذه السياسة إلا شراً كبيراً ، ولعلى لم أُجْدِ بها على وطنى خيراً كثيراً ، بل لقد رابنى بعضُ الناس صنعت فى هذا الباب شراً كثيراً . فان كنتُ كذلك حقاً فأسأل الله أن يغفر لى ما أسأتُ من حيث ابتغيت الاحسان . والله ذو الفضل العظيم

ومهما يكن من شيء فاننى عاهدت نفسى على ألاّ أعالج حديث السياسة ، وقد صدقتُها ماعاهدت . على أننى أرى صدرى يجيش اليوم بكلام يقتضيني واجبُ الذمة الوطنية أن أنفثه نفثاً وإلاّ مزّق صدرى تمزيقاً . وهـذا كلام قد يظهر لبعض الناس فى صور أحاديث السياسة ، ولو قد تفطّن هؤلاء إلى ماأريد لأدركوا أنه ليس كذلك ، أو أنه ، على الأقل ، ليس من ذلك النوع الذى أخذت نفسى بألا أخوض فيه أو أتناوله بأى علاج

إنما أخذتُ نفسى ، فى الواقع ، بهجران السياسة الحزبية ، فلا أخُبّ فى فتنة ولا أضع . وليس معنى هذا أننى لا أدلى برأى أراه فى مصلحة بلدى ، أو أنصح به لقومى ، أو أنضح به عن معشرى إذا كانت الجُلّى وتربّدت وجوه الحادثات . فاننى إن فعلتُ فقد عطّلتُ مصريتى ، وأثمتُ فى حق بلادى ، وكنت مختلساً لشرف الانتساب إلى هـذا الوطن . وأستغفر الله العظيم من هذا الذنب العظيم !

على أننى من يوم ذلك العهد لا أدع فرصة للحديث فى شأن الوطن إلاّ تحدثت ، وهذا الراديو أحاضر منه كلّ أسبوع ، وهذه صحف شتى ، ومجلات مختلفة الألوان أرسلُ القولَ فيها كلها ، فأتناول الموضوعات الاجتماعية ، والأخلاقية ، والاقتصادية ؛ بل إننى لألحّ على بعض موظفى الحكومة بالنقد القاسى على تصرّفهم فيما بين أيديهم من الشئون العامة . فاذا عدّ هذا كله من السياسة ، فهى ليست السياسة التى جمعت العزم على هجرها من ذلك العهد البعيد

والموضوع الذى أتناوله بالكلام اليومَ هو أثر السياسة فى الأخلاق العامة ، لا ألحظ فى حديثى حزباً معيناً ولا أظاهر شيعة من الشيع السياسية القائمة فى البلاد . وسيرى القارئ أنه أشبه بالبحوث الاجتماعية منه بالبحوث السياسية :

مما لاشك فيه أنه كان لتلوّن الحكومات التى تعاقبت على مصر فى السنين الأخيرة ، واختلافها فى النزعات السياسية وتفرقها فى الأهواء الحزبية أثر بعيد جداً فى الأخلاق العامة . وأشد ما كان هذا الأثر فى الموظفين عامة وفى بعض أعيان البلاد

تعاقبت الشيع السياسية الحزبية فى الحكم ، وتداولته مرات متعددة . وكان من سوء الحظ أن المسألة السياسية الكبرى لم تستقرّ على حال ، فكان هذا مدعاةً إلى التناحر والتطاحن بين النزعات المختلفة ، فكلّما وَلِيَت طائفةٌ أمرَ الحكم ، والحكم عندنا أصبح فى هـذه الظروف يدخل فيه معنى الحرب ، رأت نفسها فى أشد الحاجة إلى الاستعانة بمن تثق بهم ، وتعتمد على صدق ولائهم لها من الموظفين . وسرعان ما تعمِد إلى إقصاء قوم وتقريب قوم ، ورفع جماعة وخفض آخرين ، لا تأخذها فى هذا أية هوادة ، وهل تأخذ القائدَ الهوادةُ فيمن قِبَله من الجند إذا حمىَ الوطيس واستحرّ القتال ؟

فاذا زالت عن الحكم هذه الطائفةُ أو أزيلت ، أسرع من يليها فيه فأقصى من قرّبت ، وقرّب من أقصت ، ووضع من رَفعت ، ورَفع من وَضعت ، وهكذا دواليك . وربما تطاولت القسوة فى هذا التناحر الحزبى إلى تخريب الدور وتجويع العيال ، حتى أصبح الموظفون وكأنهم ليسوا مستوين فى الدواوين على مكاتبهم ، بل على منضدة قمار ، تدور الحظوظ فيها فى اللحظة بالفقر واليسار ، وبالغنى والأعسار ! .

اللهم إن الموظف المصرى قبل كل شئ إنسان يحرص كل الحرص على أن يعيش . وإنما وسيلته إلى العيش ما يجرى عليه من الوظيفة الشهرية يقيم بها شأنه ويعود بها على شمله

ثم إنه لا يرى سبيلاً إلى عِصمة المنصب إلاّ إذا استراح رؤساؤه بالثقة اليه ، وهو لا يظفر بهذه الثقة منهم إلاّ إذا أرضاهم وطاوعهم ، وعمل بكل جهده على استخراج عطفهم وإيثارهم . وقد عرفتَ أن الحكم الحزبى ، وخاصة فى هـذه المرحلة التى تجوزها البلاد ، قد يقتضى الموظف الادارى ، على وجه خاصّ ، شيئاً من الانحراف عن النهج والعَنَت على القوانين . فان هو فعل فقـد فسق عن واجب الذمة وخان الأمانة ، وإن هو آثر الصدق فى الخدمة العامة ، وتهدّى فى جميع أسبابه بهَدى القانون فلأمه الهبَل ! .

ثم إنه ليعلم علماً ليس بالظن أن دوام الحال من المحال ، وأن هذه الحكومة التى يعمل فى ولايتها لابد زائلة إن فى قريب وإن فى بعيـد . وأنه ستخلفها حكومة أخرى تُعاقب أولياءَ هذه الحكومة على ما شايعوا وما صانعوا . ولقد تكون هذه الحكومةُ عادلةً نزيهة ، فهى إن تجاوزت عن هوى الموظف إلى الحكومة السابقة ، فانها لا تتجاوز عما قارف فى سبيل مصانعتها من إيذاء الناس والكيد لهم والخروج على أحكام القوانين

أما أن نطلب الى الموظفين جميعاً أن يصبروا على المكروه أشدّ المكروه فى سبيل الحق وإيثار طاعة القانون ، وأن يعصوا أمر رؤسائهم فى طاعة الواجب ، فيستهدفوا بهذا لطردهم ، وحبس أرزاقهم عنهم ، وإجاعة من يعولون من الأهـل والولد ، أما أن تقتضى هذا جميع الموظفـين فضرب من العبث ؛ وأقول إنه ضرب من العبث لأنه قد شهد بكذبه الواقع المحسوس ، فأكثرُ

الموظفين الكثيرُ جداً ، مع الأسف العظيم ، قد نزلوا عند ما تطلب منهم الحكومات المختلفة ، وفى بعض هذا الذى يُطلب منهم ما لا يرتضيه العدل ، ولا يستريح اليه القانون ؛ وأقلهم القليل جداً هم الذين صبروا على الأذى وصابروا ، وآثروا على متاع الدنيا إراحة الذمة وإرضاء الضمير

إذن فالموظف ، وأعنى من تتصل الوسائل السياسية الحزبية بعمله ، مضطرٌ فى سبيل عصمة عيشه الى مصانعة الحكومة القائمة ، ولو أدت هذه المصانعة الى مخالفة حكم الذمة والقانون . ثم إنه فى الوقت نفسه ليحسب للمستقبل كل حساب ، فتراه لا ينى عن العمل له أيضاً . أى أنه لكى يعيش ويسلم من المكروه يجب عليه أن يجمع بين الضدّين ، وأن يسعى فى وقت واحد فى طريقين متخالفتين ، وإنه لن يبلغ هذا المدى إلا إذا بذل فى سبيله ماشاءت ضعة النفس ، وفسولة الطبع ، وإهدار الكرامة ، وتميُّع الأخلاق ، وإهراق ماء الوجوه ، وفساد الذمة ، أن تبلغ !

هذا الموقف لقد يقتضى هذا الموظفَ المسكين أن يكون له وجهان ، ولسانان ، وذمتان ، وهويان ؛ يَلقَى هؤلاء بواحد من أولئك ، ويلقى أولئك بواحد من هؤلاء . فهو يظاهر الحكومة القائمةَ فى اعلانه وجهره ، وهو يعدُّ أسباب الهوى للشيعة المقبلة فى خفائه وسرّه ، ولا يزال هذا شأنه ما تعاقبت الحكومات الحزبية ، حتى كادت تُفرّى الأخلاقُ فريا ، وتُبرى الكراماتُ بريا ، وحتى لقد نجم فى بلادنا هذا الفن المحقور المرذول : فن الخرص ، بكل ما اتسع له الذرع ، واتسع له الخلق والكرامة ، على المناصب الحكومية ، فشاع به فينا أبلغ ما عرف من خلة النفاق والرياء ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

لست ، شهد الله ، ألوم فى هذا أحداً ، ولا أحمّل الوزر فيه قوماً ، ولكننى إنما أحيلُ الأمر كلّه على الظروف ، ولعنة الله على هذه الظروف !

* * *

حسبى اليومَ هذا القدر ، وانى لعائد الى الكلام فى هذا الباب كرّةً أخرى إن شاء الله ؟

عبد العزيز البشرى

٢ - كَلِمة وكُلَيمة (١)

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

رُبَّ قانونٍ تُحكَمُ به أمّة ؛ ولو أنهم حاكمُوه لاعتبروه كالشروع فى قتل هذه الأمة

* * *

إذا كان القاضى صاحبَ دِينٍ وذكاءٍ وفهم وضمير ؛ فكثيراً ما يرى نفسَه محكوماً عليه أن يحكمَ على الناس . . . .

* * *

أصبحت الأخلاقُ الشرقيةُ فى هذه المدنيّة الفاسدة كمَرقَعَة الفقير المُعْدِم ، حيث لا تجدُ رُقعَةً لا بد أن تجد فَتْقا . . . .

* * *

أضيعُ الأمم أمّةٌ يختلفُ أبناؤُها . فكيف بمن يختلفون حتى فى كيف يختلفون . . . ؟

* * *

من مضحكات السياسة إنشاؤُها أحزاباً يقومُ بعضُها كما تُغرَسُ الخشبةُ لتكونَ شجرةً مُثمرة . . . .

* * *

يأتى الغُرورُ من ضعف النظر إلى الحقيقة ؛ لو أن للنّملة عيناً وسُئِلَتْ عن الذبابة كيف تراها ؟ لقالت هذا فيلٌ عظيم . . . .

* * *

فى الضرورات السياسية لا يَحْفِلُ أهلُ السياسة أن يَصْدُقوا أو يكذبوا فيما يُعلنون إلى الناس ؛ ولكنّ أكبرَ همّهم أن يقدّموا دائماً الكلمة الملائمة للوقت

* * *

إذا كانت المصلحةُ فى السياسة هى المبدأ ؛ فمعنى ذلك أن عدم المبدأ هو فى ذاته مصلحةُ السياسة

* * *

(١) نشرت القطعة الأولى فى العدد ٦٥ من الرسالة

ليس الفقرُ اختلالاً في الناس ؛ إن الفقر على التحقيق هو اختلالٌ في القوانين

***

معنى فرضِ الزكاة في الشريعة الاسلامية أن أفقرَ الصعاليك في الدنيا له أن يقولَ لأعظم ملوكِ المال : قدِّمْ لي دفاترك . . .

***

مَثَلُ مذهبِ الاشتراكية في وهم توزيع المال ، ومذهبِ الاسلام في الزكاة ، مَثَلُ رجلين مرَّ أحدهما بغريق يختبطُ في اللُّجِّ ، فاستغاثه الغريقُ ، فنظر فاذا حبْلٌ مُلْقى على الشاطىء ، ولكنه صاح بالهالكِ : أنت واللهِ في نفسي أكبرُ منزلةً من أن أُخرجَك بالحبل فأنا ذاهب أبحثُ لك عن زَورق . . . . ومرَّ الثاني فألقى له الحبلَ فنجا

***

التمدنُ والفقرُ كصاحبَينِ معاً ذي رِجْلَيْنِ وأعرجَ يمشيان في طريق ؛ كلما انفسحَتْ خُطُواتُ الأول زادت عَثَراتُ الآخر

***

التلسكوب العظيم في استكشاف معاني الحب قد يكون دَمْعَة

***

ينظر الحبُّ دائماً بعينٍ واحدة ، فيرى جانباً ويعمَى عن جانب ؛ ولا ينظرُ بعينيه معاً إلا حين يريدُ أن يتبيَّنَ طريقه لينصرف . . . .

***

تتكبر المرأةُ على كل ما يُشعرها بضعفها ؛ فمن هنا تبلغُ المرأةُ آخرَ كبريائها في أوائل حبها

***

إذا صاحبتَ عاشقاً فليس لك أن تبدأه كلما لقيتَه إلا بأحد سؤالين : ماهي خُرافتك اليوم ؟ أو ما هي حماقتك اليوم . . . . ؟

***

متى نظرت المرأةُ إلى رجل تُعجَبُ به كانت نظراتُها الأولى متحيرةً قلِقَةً غيرَ مُطْمَئنةٍ ؛ معناها : هل هو أنت ؟ فاذا داخلَها الحبُّ واطمأنّت جاءت نظراتُها مُسْتَرْسِلةً مُتَدللةً ، متأنثة ، معناها : هو أنت

***

لا يضحكُ الحيوانُ إذ كان لا يَفْهم إلا فهماً واحداً ؛ ويضحكُ الانسانُ لأنه حُرِمَ هذا الفهمَ الواحد . أهو البلاء وعلاجُه ؛ أم النعمةُ وبلاؤُها ؛ أم هذا مرةً وهذه مرة ؟

***

لا يُكثِرُ الضحكَ إلا الأبلَهُ الذي يفهم الشيءَ فهماً تمسَخُه شيئاً آخر ؛ وإلا العاميُّ الفارغُ الذي لا يفهمُ الأشياءَ إلا ممسوخة ؛ وإلا الفيلسوفُ الساخرُ المركَّبُ في طباعه من الفيلسوف والأبله والعامي . . .

***

يمنعُ الهمُّ ونحوُه من الضحك إذ كانت هذه حقائقَ صريحةً في النفس لا تُفْهَمُ أبداً على وجهين

***

لا تكونُ امرأةٌ معشوقةَ رجلٍ إلا وهو يراها وحدَها النساءَ جميعاً ؛ ولا يكون رجلٌ معشوقَ امرأة إلا وهي تراه وحدَه كلَّ الرجال . فالحبُّ وَحْدانيةٌ لا تقبلُ الشِّرك ، ومن هنا يتألَّه

***

يُولَدُ المولودُ من رجل وامرأة ولن يكونَ من ثلاثة ؛ ولهذا لن يكونَ في الحب الصحيح ثلاثةٌ أبداً

***

قد تُحبُّ المرأةُ رجلين ، أو يُحب الرجلُ امرأتين ، ولكن هذا ليس حباً ، إنْ هو إلا كِبَرٌ في العَرَبة جعلها تحتاج إلى جوادين . . .

***

لعلَّ من حِكَم الحجاب في الاسلام أن العشق إذا انتهى إلى الزواج فقلَّما يكون إلا تمهيداً لولادة إفراطٍ عصبيٍّ في قوة أو ضعفٍ أو بلادةٍ أو . . أو رذيلة .

***

ابنُ المرأة العجوز عجوزٌ حتى في الطفولة ، وابنُ الشابة شابٌ حتى في الكهولة ؛ فيا ضيعةَ الانسانية من تأخير الزواج !

***

أكثرُ النساء على أن نصفَ الذكاءِ الساحرِ في الرَّجل

ينبغى أن يكون فى عقله، ويكون النصف الآخر فى البنك . . .

* * *

عند ما تكون الساعة هى ساعة انتظار الشىء المحبوب، يكون قلب المنتظر من زحمة الدقائق كالذى يشق طريقاً زاحمه الناس فيه

* * *

الدليل فى رأى الحب من إذا هجرته المرأة كان هجرها إياه عقوبته، والعزيز فى رأى الحب من إذا هجرته المرأة كان هجرها إياه عقوبتها

* * *

اليوم الذى يكون قلباً محضاً يبقى له دائماً باقٍ لا ينتهى ؛ ولهذا لا يزال الحب الطاهر كأنه فى بقية من أوله مهما تقادم

* * *

لا يعرف الطفل تاريخه من الزمن ومافيه، ولكن من بيت أهله ومن فيه ؛ فأمس واليوم وغدا هى كلها عنده أمس الذى يكبر شيئاً فشيئاً . . . ابن الطفولة إنما هو ابن حالة من حالات الحياة لا ابن زمن، وهذا سر السعادة

* * *

يالها عجيبة ! إن الصوفى إذا فاز فى حبه الالهى رأى نفسه باقياً فى الزمن بلا بقاء يعلمه، وفانياً عن الزمن بلا فناء يشعر به ؛ وذلك بعينه ما يراه العاشق إذا خاب فى حبه الانسانى . . .

* * *

الفرق بين كاتب متعفف وبين كاتب متمهر أن الأول مثقل بواجب، والآخر مثقل به ذلك الواجب . . .

* * *

كانت الشفقة هى الأصل فى كل موضع استهزاء فما تستهزئ إلا بخطأ أو ضعف أو عجز ؛ ولكن شعور الحيوان بقدرته على حيوان آخر، أو بانتصاره، أو بامتيازه ؛ هو فى الانسان أصل ذلك الاستهزاء

* * *

كما يضر أهل الشر غيرهم إذا عملوا الشر، يضر أهل الخير غيرهم إذا لم يعملوا الخير

طنطا

مصطفى صادق الرافعى

الدعوة الى القصص

علام تقوم وماذا أنتجت ؟

للأستاذ محمد عبد الله عنان

يجوز الأدب العربى اليوم حركة تطور وتجديد لاريب فى قوتها وأهميتها ؛ والحركات الفكرية، كالحركات السياسية، عرضة للأغراق والتطرف، ولاسيما قبل أن تبلغ مرحلة النضج والاستقرار ؛ وقد كانت حركتنا الأدبية عرضة لبعض هذه المظاهر المتطرفة ؛ فقد أفرط البعض مثلاً فى التحدث عن الجديد والقديم دون أن يسفر هذا الجدل الخالد عن معان واضحة أو نتائج عملية ؛ وقد زعم البعض أن التجديد هو إغفال الماضى كله، والسير وراء التفكير الغربى فى حركة تقليد عمياء ؛ وظهرت فى الأعوام الأخيرة فى حركتنا الأدبية خاصة تطرف أخرى، هى الأغراق فى التحدث عن القصة وكتابة القصة، وفى تقدير المكانة التى يجب أن يتبوأها القصص فى أدبنا ؛ ويذهب بعض أصحاب هذا الحديث الى أن القصص هو أعظم وأجمل وأقيم ما فى الأدب الغربى، فيجب أن يكون له مثل هذه المكانة فى أدبنا، ويجب أن ينصرف الكتاب الى تأليف القصة حتى يصبح لنا تراث قصصى عريض مثلما فى الأدب الغربى

وهذا قول يحتاج الى بيان ومناقشة . نعم إن القصص يتبوأ فى الآداب الغربية الحديثة أسمى مكانة ؛ ولكنه ليس كل شىء فى هذه الآداب، وليس هو أعظم شىء فيها ؛ وإنما يتخذ القصص هذه المكانة فى آداب عظيمة تفتحت فيها جميع نواحى التفكير والفن ونضجت، واتصلت مراحل نموها وتطورها مدى عصور . وللقصص الرفيع فى هذه الحضارات والآداب العظيمة مهمة سامية أخرى غير متاع القراءة والرياضة العقلية، هى المعاونة فى تربية النشء وتكوينه، وتكوين الأخلاق والخلال الفاضلة، والدعوة الى المثل العليا . والقصص يتخذ أداة للتعبير عن خفايا النفس البشرية، وصياغة العواطف النبيلة والعبر المؤثرة، كما يتخذ أداة لعرض ما فى اللغة القومية من كنوز البيان الساحر . وإنا لنتساءل

أولاً : هل يفهم القصص في أدبنا على هذا النحو ؟ وهل استطعنا بعد كل هذا الضجيج أن نخرج في ميدان القصص ما يمكن أن يرتفع ، في فنه وفي قيمته الأدبية ، الى هذا المستوى ؟ وهل نضجت حركتنا الأدبية واستكملت كل ما ينقصها من النواحي والعناصر التي يجب أن تمثل في كل الآداب العظيمة فلم يبق أمامنا إلا أن نعالج القصص وأن نحسنه ؟

إن القصص لم يتبوأ مكانته الرفيعة في الآداب الغربية إلا في العصر الحديث حينما ازدهرت هذه الآداب ، واستكملت عناصرها الجوهرية . نعم إن القصص وجد في الآداب القديمة منذ أقدم العصور ؛ ولكنه لم يشغل في الآداب القديمة ذلك الفراغ الشاسع الذي يشغله في الآداب الحديثة ، وقد كان فوق ذلك من نوع خاص ، قصصاً دينياً أو قصص بطولة أو فروسة قومية ، ولم يخرج قصص العصور الوسطى في الآداب الغربية عن هذه الدائرة . ولنا مثل هذا القصص في أدبنا العربي القديم ؛ ولكن الحركة الفكرية اضمحلت في الشرق في الوقت الذي نهضت فيه في الغرب وأخذت تنفتح في سائر النواحي وتنمو بخطى عظيمة ؛ وبينما كانت الآداب الغربية تغزو ميادين جديدة ، منها ميدان القصص ، اذا بالحضارة الأسلامية والآداب العربية تخبو وتتراجع أمام الغزوات البربرية التي قام بها التتار والترك في سائر أنحاء العالم الأسلامي ؛ ولما افتتح الترك مصر ، وهي يومئذ ملاذ التفكير الأسلامي ، لقيت الآداب العربية ضربتها القاضية ، وركدت ريحها زهاء ثلاثة قرون ، وتخلفت عن الآداب الغربية في كل نواحي التقدم ؛ ولم تستطع أن تنهض من سباتها الطويل إلا بعد أن تقلص عنها ظل هذا النير البربري

وما نراه اليوم من نقص في نواحي حركتنا الفكرية ، إنما هو من أثر هذا الاضطهاد الذي أصابها مدى هذه الأحقاب الطويلة ؛ والقصص إحدى هذه النواحي ، بيد أنه ليس أهمها وأحقها بالعناية ؛ فهنالك نواح أخرى في أدبنا لم تنضج ولم تستقر ، وهنالك في ميادين العلوم والفنون نقص واضح ، والقصص الرفيع عنوان حركات فكرية نضجت واستقرت وازدهرت فيها مختلف نواحي الثقافة والفنون . وقد يظهر القصص في آداب أمم وحضارات متأخرة ، ولكنه يكون قصصاً ساذجاً تنقصه عناصر الفن والتفكير . وإذا كان من المسلم به أن حركتنا الفكرية لا زالت بحاجة الى استكمال كثير من العناصر الجوهرية ، فليس مما يقويها ويدعمها ، أن ننصرف الى نواح دون أخرى ، وأن نؤثر بعض هذه النواحي بالأهمية والخطورة ، وأن نصورها خلاصة الفن والأدب ، وكل شيء فيهما ، على نحو ما يصور البعض كتابة القصص ، فمثل هذا الأغراق لا يخدم قضية الأدب والثقافة ؛ ولكنه بالعكس يجني عليها اذا أثمر ثمره في الأذهان والأقلام الناشئة . وهذا ما يلوح لنا أنه يحدث اليوم في حركتنا الأدبية ؛ فقد ذهب أصحاب الدعوة الى القصص في تصوير أهميته وقيمته الأدبية الى حدود بعيدة ، وتأثر بهذه الدعوة المغرقة كثير من الشباب الذين لم يستكملوا كل عناصر الثقافة القوية ، فانصرفوا الى قراءة القصص والى كتابته ، حتى أصبحنا أمام سيل من القصص الساذج الغث يشغل وقت الشباب والناشئين

* * *

والآن لنر ماذا كانت نتائج هذه الدعوة ، وهل أسفرت حقاً من الوجهة الأدبية عن نتائج تذكر . وأول ما يلفت النظر هو كثرة القصص التي تغمر الصحف والمجلات . ولكن الكمية ليست هي كل ما في الانتاج الأدبي ، وإنما يهم النوع قبل كل شيء ؛ ومن الزعم الباطل أن يقال إننا استطعنا أن نخرج حتى اليوم آثاراً قصصية ترتفع في قيمتها الأدبية والفنية الى مستوى القصص الغربي ؛ وقد نظفر بآثار قليلة تمتاز بشيء من القوة والطرافة ، ولكنها مع ذلك تحمل طابع المجهود الأول ، وينقصها كثير من العناصر الفنية ؛ أما الكثرة الساحقة من هذا القصص الذي يغمر اليوم ميدان أدبنا ، فليست لها أية قيمة أدبية تذكر ؛ ويلاحظ أولاً أن كثيرا من القصص الذي يبدو في ثوب التأليف إنما هو قصص منقول عن الأدب الغربي ، يصاغ في أثواب مصرية لكي تضيع معالمه ، ولكنه ينم دائما على حقيقته ؛ ولا نلمس في هذا القصص الناشيء أية لمحة من الفن الحقيق أو الخيال الشائق ؛ ثم هو لا يكاد يحظى بأي قسط من البيان القوي ، بل يعرض دائماً في أساليب ضعيفة ينقصها روح التعبير القوي ، ويبدو فيها أثر التقليد والنقل واضحاً ؛ ولسنا ندري ماذا تكون القيمة الأدبية لقصص عاطل عن مزايا الفن والخيال

والبيان معاً ، وكل ما فيه أنه قصص فقط ؛ أضف إلى ذلك أن هذا السيل المتصل من القصص ينقصه عنصر التوجيه والثقافة ، فهو لا يتجه إلى غاية ثقافية معينة ، ولا تحدوه أية مثل اجتماعية ، أو أخلاقية محترمة

ولقد قام القصص الغربي في معظم الأحيان على تراث التاريخ والحضارة ، وما زال في كل أمة معرضاً قوياً للتاريخ القومي والحياة الاجتماعية القومية ، ولكن ما هي المواد التي يستقي منها كتاب « القصص » عندنا ؟ وأي نواح من حياتنا الاجتماعية أو تاريخنا القومي استطاعوا أن يعرضوه ؟ إنهم في الواقع يعرضون صوراً باهتة من الحياة الاجتماعية الغربية ، ويحاولون أن ينسبوها للحياة الاجتماعية المصرية . ذلك لأنهم مقلدون ناقلون في الغالب ، يندفعون وراء نزعة لم تقم على الدرس الصحيح ؛ وهل قصص الحب المبتذل ، ومناظر المسارح والملاهي والمراقص ، ومقابلات السينما والشاطئ (البلاج) ، والمراسلات الغرامية السخيفة ، هي كل ما في الحياة الاجتماعية المصرية ؟ ولقد كان لنا ثمة مادة بديعة للقصص في تاريخنا القومي ، فهو حافل بصنوف المآسي الملوكية والشعبية ، والحوادث والمواقف الشائقة ؛ فهل فطن أحد من كتاب القصص إلى هذا الكنز الزاخر والمورد الخصب ؟

ولقد قلنا إنهم يزعمون أن الرجوع إلى الماضي ينافي دعوة « التجديد » التي يضجون بها ، ولا يستطيعون فهمها أو تحديد معانيها ، فهم لذلك لا يعنون بالتنقيب في تراثنا الغابر ؛ ولكن الواقع أنهم لا يفعلون ذلك تعففاً أو قصداً وإنما هو القصور وانقطاع الصلة الروحية لديهم بين مراحل الأدب الذين يزعمون أنهم طلائعه . والبحث يجشمهم جهوداً لا يستطيعون الاضطلاع بها . على أن القصص الرفيع في الآداب الغربية يفسح أكبر مجال لمآسي التاريخ وحوادثه . ويكفي أن نذكر بعض الأسماء لتأييد هذه الحقيقة ، فقد كان التاريخ وحده تقريباً مادة شيللر في جميع قصصه المسرحية ؛ وكان أروع ما أخرجه سنكيفتش قصته التاريخية الرومانية « كوفاديس » التي تعتبر من أعظم ما أخرج القصص الغربي ؛ وكتب لورد ليتون « أيام بامبياي الأخيرة » ، وكتبت جورج اليوت « رومولا » ، وعرض اسكندر ديما مراحل التاريخ الفرنسي في سلسلة من القصص التاريخية البديعة . بل لقد ألفى بعض أكابر كتاب الغرب في تاريخنا ، وفي التاريخ الاسلامي مادة نفيسة ؛ فكتب تشارلس كنجسلي « هيباسيا » عن العصر اليوناني الروماني في مصر ، وكتب اسكوت « ايفانهو » عن بعض حوادث الحروب الصليبية ، وصاغ فون هامار ولاهارب مصرع البرامكة في قالب قصصي بديع ، وكتب شاتوبريان « آخر بني سراج » إلى غير ذلك مما يضيق المقام بذكره

والخلاصة أننا كلما تأملنا هذه الدعوة الصاخبة إلى كتابة القصص واعتباره كل ما في الأدب من قيم ونفيس ، وتأملنا ما انتهت إليه من النتائج العملية ، ألفينا فراغاً في كل ناحية ، وألفينا فشلاً مطبقاً . والفشل دائماً حليف كل نزعة أو حركة لا تقوم على قواعد صحيحة ، ولا تتوسل إلى غاياتها بالوسائل الطبيعية ؛ وقد فشلت هذه الحركة المغرقة ، لأنها قصدت أن تبتدئ حيث يجب الانتهاء ، ولم تسر في مراحل التدرج ؛ جنباً إلى جنب مع باقي نواحي الحركة الأدبية ؛ ولم تقم بالأخص على الدرس والبحث ، وإنما قامت على عوامل وبواعث مصطنعة . أراد فريق من كتابنا أن يصبحوا بين الأمس واليوم من أساتذة القصص ، وأن يناهضوا كتاب القصص الغربيين الذين كونتهم حضارة وآداب وثقافات مؤثلة متصلة المراحل ، وتصوروا أنهم يستطيعون تحقيق هذه الغاية باخراج هذه القطع الركيكة الذابلة التي تنقصها كل عناصر الفن والخيال والبيان

ونحن نقدر قيمة القصص ورفيع مكانته في الأدب الغربي ، ولكنا نود فقط أن نعرض الأمور على حقيقتها ، وأن نلفت النظر إلى ما يترتب على هذا الأغراق في شأن القصص من الآثار السيئة في حركتنا الأدبية ، وهي لم تستكمل بعد كل عناصر النضج والاستقرار . ولقد كان الاندفاع في هذا التيار على هذا النحو من وجوه الضعف في حركتنا الأدبية ؛ لأنه يستغرق جهوداً كان خليقاً أن تصرف في نواح أخرى ؛ ولقد كان الجهد كبيراً مستفيضاً ، ولكن دون تبصر وتمكن ، فجاء الغنم ضئيلاً يدعو إلى الرثاء . ومن المبالغة أن نقول إننا قد استطعنا أن نغزو بعد ميدان القصص الرفيع ، أو إننا أخرجنا تراثاً قصصياً يجدر بالتقدير والاحترام .

محمد عبد الله عنان

المحامي

أين أنتم يا أحبائى ؟

للأستاذ محمد سعيد العريان

الغد . . . إن الغد ليتراءى لى خلف ضباب المنى كأنى من توهمه أستعيد تاريخاً غبر لا يفصلنى منه إلا مافات من أيامى : وإنى لأرى من خلفه ثلاثة أحباب كأنما كنا معاً ثم افترقنا إلى ميعاد !

هأنذا فى الفلك مرتفق إلى حافته ، والموج من حولى يعج ويصخب ، والنسيم يصافح خدى فأسمع فى دمدمته أصداء ذكرى بعيدة ، طوفت ما طوفت ثم عادت تتراى إلى أذنى خافتة من طول ما أعيت فى مجاهل الزمان . . . !

وها هى ذى إلى جانبى فى الفلك مرتفقة إلى ذراعى ، قد عطفها على خوف البحر لتلتمس الأمان من قربى ، فما ركبت البحر من قبل ولا كان لها بهدهدة الفلك عهد

قلت لها : « أتخشين البحر ؟ »

قالت : « بل أخشى الفراق ! »

قلت : « فانى إلى جانبك فما يفزعك ؟ »

قالت : « حبذا أن يكون هذا حقيقة ! أهذا هو البحر ، وتلك هى السماء ، وهذا أنت ؟ فما بى خوف البحر وإنك إلى جانبى ، ولكني أريد لك أن تعيش ! »

وهدأ البحر وأملست صفحته ، وراح الفلك يشق الماء فى لين وخفة ، وإن له لموسيقى هادئة فيها عذوبة الأمل الواثق ونشوة السعادة الراضية

وثابت إلى نفسها ، فراحت تنقل الطرف من هنا إلى هناك وفى ابتسامتها معان من الغبطة وفى عينيها نظرات . . .

قالت : « أتسمع إلى هذه الموسيقى ؟ فانها لمن نفسى وفى نفسى ! »

قلت : « ما أحب إلى أن أبقى إلى جانبك الدهر نستمع إلى أغانى الحب فى خرير الماء وهمس النسيم ، ونمتد فى أحلام السعادة ما امتدت بنا الحياة ! »

قالت : « أنك لتقرأ مافى نفسى ، فما أعدل بما نحن فيه أن يكون لى الملك ! أرأيت فى الحياة ملكاً يعدل قلبين يؤلف بينهما الحب ؟ »

ورأيت على الشاطئ القريب قصراً قائماً ، تلوح النعمة من شرفاته ويستعلن الغنى

قلت : « أفلا تودين أن يكون لنا هذا القصر ، نعيش للحب فى أفيائه ونستظل منه بوارف السعادة ؟ »

قالت : « ما أتمنى لهذا الحب أن يتعلق من أوهام الأرض بمثل ذلك ! ليتنى وإياك على رمث فى البحر ليس لنا إلا البحر ، أو فى كوخ من قش على حدود الدنيا ليس لنا إلا حدود الدنيا ، أو كهف من جبل فى طريق الصحراء ليس لنا إلا الصحراء ، فهناك سمو الحب لا حيث ترى الآن .. ! مالنا وللناس ياحبيبى نطاولهم بالطين والتراب ؟ وإنما الحب قلب لقلب ، ودنيا من وراء الدنيا . أنا وأنت هما كل الناس ، ويومنا هو الزمان ، ومجلسنا العين فى العين ، والجنب إلى الجنب ، هو الدنيا كلها ما تتسع لغيره ، ولا تمتد لسواه ؟

ورسا بنا الفلك على خضراء مزهرة ، فانسابت هى فى الطريق على حذر ورقبة ، وخلفتنى هناك أنتظر ...

باويح الشباب من أحلامه ! متى تعود الى جانبى ، فنعيش الروح للروح ، والنفس للنفس ؟ لقد طالت بها النوى وما آبت

***

ومضيت أتوكأ على نفسى فى ظلال الروض ، أتمثلها فى كل منعطف وكل ثنية ، وإن عينى لتأخذان الطريق ، وإن الزهرة لتهمس فى أذن أختها : « لقد كانت هنا ثم لم تكن ! » ، وإن الغصن الناضر ليشير بأصبعه الى هناك ؛ وكل شىء من حوله قد مسته الحياة ، ونفخ فيه الحب روحا من روحه ، إلا ... إلا قلبى ؟

وتهاويت على مقعد بين ملتف الحدائق ، فأغمضت عيني وإنني ليقظان ، وسمعت من خلل الغصون حمامة تقول لأختها « أنظرى ! هل يعرف السلام من عرف الحب ؟ »

ودقت بجناحيها فطرفت عيني ، ثم علت فأمعنت فى الجو تصعيدا ، وإن عبارتها لترن فى أذنى ؛ وفتحت عينى فاذا هى الى جانبى . . !

قلت: « أهذا أنتِ ياحبيبتي ! ما أصبركِ على البعاد ! »

قالت: « فانك ما تزال هنا ، لقد كنتُ على يقين بأنك تنتظر ! »

قلت: « وأين لى أن ألتمس السعادة فى غير دنياكِ ، وكيف لى أن أملَّ الثواء هنا ، ومعى خيالُك ، وأنا منكِ على ميعاد ؟ »

***

وذهبنا نخطر جنباً الى جنب ، وإن قلبي ليتحدَّث ، وإن قلبها ليجيب ، وإن المنى لتبتسم !

وطوينا الطريق فى خطوات ، وإذا نحن فى بيت يجمع من أمرنا ما تفرّق ، نُطلّ من شُرُفاته على ذلك النهر الذى شهد بُكرةَ هذا الحب ووَعَى ذكرياتِ هذا الغرام ، وإن له لحديقةً تُزْهِر فيها الأمانى وتتفتّح الأحلام

ورحنا نمرح فى جنبات الدار كأسعدِ عاشقين أتمَّ عليهما الحبُّ نعمته وأسبغَ أمْنه . فاذا دنا المساء فذراعها الى ذراعى فى الحدائق الفينانة والملاعب الساهرة ؛ فما فى الناس إلا مَن يعرفنا فيتمنّى ويرانا فيغبطنا !

وكنّا فى البيت فجاءت تسعى الىَّ ضاحكةً مَزْهوَّةً

قالت: « كيف ترى هذا الثوبَ ياحبيبي ؟ »

قلت: « إنكِ به لأكثرُ فتنة ! »

قالت: « إنما صنعتُه بيدى ، ولقد أدْمَتْ الابرة إصبعى ؛ ولكنى بما أصابها لسعيدة ! أرأيت ياحبيبي إننى لا أشترى جمالى من السوق ، ولا ألتمسه عند الخيّاطة ؟ »

قلت: « إننى بكِ لفخور ! »

قالت: « بل قل برِّبك إنك تحبنى ، واتركْ لى وحدى نعمةَ الفخر بحبك ! »

ثم لَوَتْ لتهيِّىء لنا الطعام . ما أشهى ما آكُلُ من صنع يديها الجميلتين !

ومضيتُ فى سبيلى الى المجد أقتحم الصعب وهى من ورائى تدفعنى الى الجهاد وتضاعف فىَّ الأمل . فاذا أعيانى الجهدُ ونالنى التعبُ وتكاءدتنى عقباتُ الطريق — مالتْ علىَّ تهمس فى أذنى عاتبة :

« كيف تضيق بنفسك ياحبيبي وأنا الى جانبك ! »

***

يا لله ! أكان هذا كلُّه خيالاً من تلفيق الأحلام ، تجمع من صورة الى صورة دنيا تموج ، ومن جزءٍ الى جزءٍ عالَماً مصوَّراً من المنى التى نلتمسها فى اليقظة فلا نراها . . . ؟

لا أكاد أصدق من طول ما تتراءى لى هذه الصور أنها غير حقيقة ! فهأنذا ما أزال أفتش عنها . . . عنها هى ، واثقاً أننى سأجد عندها تعبير أحلامى . . . !

ويحى ؟ أين هى الآن منى ؟ أتُرانى ألقاها فى الخيال على غفلة منها ، أم أنا من فكرها فى مثل موضعها من فكرى فنحن نلتقى على ميعاد ؟

ألا كَمْ يفعل الحب من معجزات ! إنه ليضاعف وجود العاشقين إذ يلتقيان على البعاد فى دنيا الوهم ، فهى معى هنا ، وأنا معها هناك . . . !

***

ومضيتُ على وجهى أتنفّس فى الحقول المبسوطة مَدَّ البصر وهرول إلىَّ صبىٌّ ضاحكٌ مبسوط اليدين

قال: « أبى ! أنتَ هنا ؟ لقد نَشَدْتُكَ طويلاً فما بلغتْ إليكَ نفسى ! »

قلت: « أهذا أنت ياولدى ؛ ما بيدك ؟ »

قال: « هى زهرة جميلة ، سأغرسها فى حديقة الدار تنفح العطر وتبعث البهجة والجمال ؛ سَيُسَرُّ أمى أن تراها . . . أين أمى ، لماذا لا أراها هنا ؟ »

قلت: « أمُّك ؟ حسبتُها معك ، أتعرف أين ألقاها ؟ فقد نَشَدْتكما طويلاً ؛ إن الدار من دونكما خلاء ! »

قال: « آه ، سأذهب لأدعوَها فانها فى انتظارك من زمان . . . ! »

وبلى ! هى هناك تنتظر وأنا هنا ؛ فمالنا لم نلتقِ من زمان ؟

***

ومضى الصبىّ يبحث عن أمه ، وإن عينيه لتنظران إلى الخلف يستوقفني إلى أن يعود !

إن الولد لأبويه هو الحبّ والحنان والرحمة ؛ هذا هو يسعى ليجمع الحبيبين وما التقيا قَبْلَها مرّة ، فاذا تمّ له أن يخرج إلى الحياة يمرح بين أبويه فانه لَعُقْدَةُ الحب ووثاق الأبد

أرأيتَ إلى الزوجين إذ ينفث الشيطانُ نَفْثَتَه فتفترق أجسادهما؛ أتراهما يفترقان حقيقةً وبينهما غلام؟ ألا إن خواطرهما لتلتقى عنده على طواعيةٍ ورضىً فى كل لحظة مرات، وإن لم يتراءيا وجهاً لوجه . . . !

***

مضى الصبىّ يبحث . . . وأنا لا أزال أبحث

أنا إلى الآن رجلٌ عَزَبٌ يحلم . . . وابنى إلى الآن لا يزال فى الغيب، يستجدينى الحياةَ منى ومن أمه التى لم أعرفها بعد، ولا أزال أبحث عنها، وهى لا تزال تبحث عنى . . . !

أين أنت يا ولدى؟

أُتراك تعود إلىّ حياً كأولاد الدنيا، أم كنت وَمْضَةَ أملٍ برقتْ لعينىّ خاطفةً فى الحلم، ثم توارتْ كلمحة البرق فى ظلال السماء!

أىْ زوجتى التى لم أعرفها لأنى لم أرها بعد!

أىْ زوجتى التى تنتظر وراء الستر حالمةً ترقب الميعاد!

أىْ ولدى الذى يتوارى خلف الغيب ينادى أباه وأمّه!

يا أحبّائى الذين يبحثون عنى كما أبحث عنهم منذ سنين وسنين وسنين؛ أما آن لنا أن نلتقى حتى ألتقى النّعم الثلاث فى زوجتى وولدى وفتاتى؟

أين أنتم يا أحبائى . . . ؟

طنطا محمد سعيد العريان

عظمة الكون بسعة وأنظمة

ربنا ما خلقت هذا باطلاً!

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

قد يستغرب القارىء إذا قيل له إن شمسنا ماهى إلاّ واحدة من شموس لا عدّ لها، وقد يزيد استغرابه إذا قيل له أيضاً إنه بتلسكوب جبل ولسون الذى قطر عدسته العاكس متران ونصف متر، وبالوسائل المتعددة للتصوير بالفوتوغراف استطاع العلماء أن يكتشفوا أن مجرتنا تتكون من ألوف من اللايين من النجوم، وأن وراء ذلك مجرات وجزرا كونية أخرى يربو عددها على ملايين عديدة

قد يظن البعض أن الكون على هـذه الحال مزدحم وليس فيه فراغ، وانه ملآن بالعوالم والأجرام، ولكن الثابت أن كل هذه العوالم والأكوان لاتشغل إلا حيزاً صغيراً جداً بالنسبة للكون الأعظم، وأننا فى خضم من الفراغ، وأن الفضاء أفرغ من أى شىء نستطيع تصوره. ليتصور القارىء وجود ثلاث نحلات فى قارة أوروبا وعندئذ يكون هواؤها لا يزال أكثر ازدحاماً بالنحل من ازدحام الفضاء بالنجوم فى أجزائه التى نعرفها. إن الأمواج اللاسلكية التى تسير بأعظم سرعة نعرفها (سرعة الضوء وقدرها ١٨٦٠٠٠ ميل فى الثانية)، هذه السرعة تصل المريخ فى دقيقتين، ولـكن قد يذهل البعض اذا علم أن هـذه الاشارات تحتاج إلى سنين، بل الى مئات وألوف منها لتصل إلى سيارات بعض النجوم الموجودة خارج مجرتنا؛ وقد لا يصدق البعض الآخر إذا قيل له إن أقصى السدائم التى نراها فى الفضاء يبلغ بعدها (١٤٠) مليون سنة ضوئية، أى أن ضوءها يستغرق ١٤٠ مليون سنة فى الوصول إلينا. وسيكشف لنا العلم بوسائله المتعددة عن سدم أبعد من هذه بكثير

يظهر مما مر أن المسافات التى تفصل بين الأجرام السماوية شاسعة جداً قد لايستطيع العقل البشرى تصورها، وأن الكون أعظم مما نتصور، وكلما تقدم الانسان فى ميدان المدنية على اختلاف مناحيها تتجلى له عظمة هذا العالم وروعة هذا الكون، وتتجلى له غرائبه بما يخلب اللب ويدهش العقل ويحير الفكر

ومن يبحث فى هذا الكون المظيم ويسعَ فى الوقوف على أنظمته والقوانين التى تسيطر عليه يجد أن لا شىء فيه إلاّ ويسير ضمن دائرة من القوانين لا يتعداها ، وأن لكل شىء سبباً ، وأن ما يسيطر على أصغر أجزاء المادة يسيطر على أكبرها . . . فالمادة تتألف من الجواهر الفردة ، وهذه تتألف من كهربائية سالبة تسمى كهرباً ، وكهربائية موجبة تسمى نواة ؛ والكهارب تدور حول النوايا فى أفلاك ، وهذا التركيب وما فيه من نظام وما يسوده من قوانين يشبه النظام الشمسى ، فهو مجموعة شمسية مصغرة ، فالنواة تقابلها الشمس ، والكهارب تقابلها السيارات دائرة فى أفلاكها حول الشمس ، وتصدق هذه المقارنة على حجوم الكهارب والنوايا وعلى المسافات ؛ فلقد ثبت أن نسبة حجم الكهرب إلى النواة تقارب النسبة بين حجم أحد السيارات المتوسطة والشمس . مما تقدم ومن نتائج بحوث علماء الفلك يظهر أن الكون متسق فى نظامه ، متناسق فى أجزائه ، متشابه فى تركيبه ، والنظام الموجود فى السيارات والشموس هو بعينه فى الجوهر الفرد : فى الكهارب وفى النوايا ؛ والقوانين التى تسيطر على الأولى تسيطر على الأخيرة ، أى أن الكون فى أصغر موجوداته وأكبرها سار ويسير حسب نظام مخصوص وحسب قوانين ثابتة اكتشف الانسان بعضها ، وأن موجودات هذا العالم أيضاً متصل بعضها ببعض لا يستغني أحدها عن الآخر ، وأنه ما من شىء خلق لنفسه أو يقدر أن يعمل شيئاً بدون غيره ، والجوهر الفرد بألكتروناته ونواياه هو أصل كل شىء فى الوجود ، فى الأرض ، فى السيارات ، فى الشمس ، فى النجوم . . . . والعلاقة بين كل هذه متينة والرابطة أمتن ، علاقة التشابه ورابطة التركيب ؛ فمن الذرات الكهربائية تكونت الجواهر الفردة ، ومن الجواهر الفردة تكونت الدقائق التى منها تتكون المادة ، ومن ذلك أصل النظام الشمسى والأنظمة الشمسية الأخرى وما فيها من نجوم وسدم وسيارات ومذنبات وشهب الخ . . . .

والآن . . . نأتى الى الانسان .... ما علاقته بهذا الكون ؟ ما مقامه ؟ بينما نرى الانسان كبيراً جداً جداً بالنسبة الى الجواهر الفردة ، إذ وزنه يعدل ألف مليون مليون مليون مليون جوهر فرد ، نراه فى الوقت ذاته صغيراً جداً جداً بالنسبة الى أحد الكواكب المتوسطة القدر التى وزنها يعدل عشرة آلاف مليون مليون مليون مليون رجل . . . .

من هنا نرى أن الانسان يكاد يكون متوسطاً بين الجواهر الفردة والكواكب ، ومن هذه النقطة المتوسطة يستطيع (الانسان) أن يكشف عن طبيعة الأشياء الصغيرة من جهة ، والأشياء الكبيرة من جهة أخرى بفضل ما وهبه الله من الصفات العقلية والروحية

قد يقول البعض إن الانسان استطاع أن يصل الى نقطة قد تساعده على فهم أسرار هذا الوجود ، وعلى الكشف عن غوامضه والوقوف على حقيقته

ولكن مهلاً . . . . كلما تقدم الانسان فى الكشف عن قوانين الطبيعة وفى تفهم أسرارها ، رأى نفسه أمام أسئلة عديدة لا يستطيع الأجابة عنها ، وقد زاد اعتقاداً بضآلته وجهله وبأنه لم يكتشف شيئاً بعد ، وأنه لا يزال فى فجر يقظته العقلية ، وفى أول مراحل التفكير الجدى فى الوقوف على أسرار الوجود . وكلما قلب بصره فى هذا الفضاء وزاد معرفة به ، شعر بأن الوداعة تقترب منه ، وأن من الواجب عليه أن يكون فى الذروة العليا من التواضع وسمو الخلق ؛ ولا عجب فى ذلك ، فحسبه أن يعرف أن الأرض إزاء الأجرام السماوية التى لا عد لها أشكالاً وأنواعاً كذرة من الغبار سائرة الى الفناء لا تأبه للحياة

وفوق ذلك فأجزاء هذا العالم مرتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقاً لا يستغني أحدها عن الآخر ، ولا يستطيع أى جزء أن يسير بدون غيره ، والانسان مرتبط بأخيه الانسان ، وهذه كرته التى يعيش عليها وما فيها من حيوان وجماد ونبات ، لها علاقات مباشرة وغير مباشرة مع غيرها من الكواكب والنجوم ؛ فلولا الشمس لما عاش النبات والحيوان والانسان ، ولولا القمر لاختل نظام التجارة ، ولولا الكواكب والنجوم وجذب بعضها لبعض لما استطاع أن يحفظ كل نجم أو كوكب مركزه فى هذا الوجود ، ولسادت الفوضى وعم البلاء . وعلى هذه الحال ، فالعالم مترابطة أجزاؤه ، تسيطر عليها أنظمة وتتولاها قوانين لا تتعداها ولا تشذ عنها . والذى لا ريب فيه أن هذا الكون لم يوجد من تلقاء نفسه ، إذ لو كان كذلك لما رأينا فيه (أى فى

الكون) هذا النظام وهذا التنسيق ، بل إن هنـاك قوة خارقة منسقة منظمة ، لايحيط بها عقلنا ، بل هي تحيط بنا وبهذا الوجود من كل نواحيه . أوجدت هذا الـكون الأعظم وجعلته يسير ضمن نواميس ثابتـة . ومهمتنا نحن البشر أن نزيد معارفنا عن هذه النواميس ونبحث في أصولها ، وكلما زدنا معرفة بها زدنا اعتقاداً بقدرة الله الخارقة المنظمة ، وإيماناً بعظمته وقوة إبداعه ، وظهر لنا بجلاء مقام الانسان في هذا الـكون الذي لم يخلق باطلاً

هـذا الأعتقاد ، وذاك الايمان اذا رسخا عن طريق الدرس والبحث فانهما يسموان بصاحبهما الى عالم أسمى من عالمنا ، وفي هذا لذة روحية هي أسمى أنواع الملذات . . .

« إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليـل والنهار لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفـكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ماخلقت هذا باطلاً سبحانك . . . »

قدري حافظ طوقان

٢ - من أدب الزراعة

للأستاذ محمد محمود جلال

تمر اليوم بالحقـل فتقر عيناك ببساط سندسي وقد نبت البرسيم فحلَّى عاطل الأرض بعد أن كان حباً ميتاً يوم جيء به من المخزن فبذر في ظل الذرة نامية السوق ناضرة اللون فتتمثل بقول الصانع الحكيم « يخرج الحيّ من الميت » . . . ولـكل نبت من شعرات البساط مهما دق روح وخصائص للنمو والتزاوج والأزهار والأثمار

يروقك المنظر بعد أن انجلى عنه ما كان يشوبه منذ أيام من سوق يبست فثقلت على النفس ، وهانت على الزمن ، فناداها أجلها فانتهت أشبه ما تـكون بعهد الظلم أو بالظلام عفّى ضياء العدل أو ضوء الشمس آثاره

حبذا الحدود تضع لـكل مخلوق دوراً ، وحبذا التزامها ، وما أنـكر الطغيان !

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أخذ من الدنيا فوق حاجته أخذ حتفه وهو لا يشعر »

ولـكن الخير المحض لا وجود له في الدنيا ، وكذلك لم يخل الله مخلوقاً من نفع ، فذاك اليبس في السوق ، وتلك الضآلة في منظر الذرة حين تجف ، إنما تحمل مادة الحياة وغذاء الغالبية العظمى تلك الأمطار(١) المثقلة أشبه بثمار التجارب وعميق الفكر ، لاتنضج إلا في استواء العمر وأواخر الحياة ، فيكثر الأطراق والأغضاء اتساعاً للناس على علم من الحياة ، ورحمة بالعاني والخاطىء ، وتحبب إلى النفس العزلة والأنزواء ، فيسعى إلى أهل الرأي والتجربة رائدو الحـكمة وطالبو العلم كما يسعى الناس إلى التمون من تلك الثمار الجافة حيثما وجدت

وفي مظاهر الهدوء والأطراق سمة الأتماظ والبعد عن الزهو والصلف ، وهي مظاهر لاتلقاها إلا حيث تلقى الفضل والنبل ، بل هي سياجهما وشارتهما كما يقول المرحوم شوقي بك :

ومن لم يجمّـل فضله بتواضع يَبِنْ فضله عنه ويعطل من الفخر

على أن هذا البساط الذي يأخذ بالأبصار ، ويضفي اليوم على الوادي ثوباً قشيباً حبيباً ، إنما نبت في كنف غيره ، وإنما كفله وأخذ بيده سواه

ففي دفء « الذرة » يوم كانت حلية الأرض تغذي ، وفي حمى سوقها التي تزدري اليوم ازدهر . فـكانت له الأب البار ، أو الوصيّ الأمين ، حتى تم الدور فتخلت ناعمة لسعيها راضية . قدمت الخير واطمأنت ، وما خلفته إلاحين رأت فيه القدرة على بدء دوره

معانٍ للتعاون وربط أدوار الحياة بعضها . (وفي الأرض آيات للموقنين) . ومنذ آلاف السنين تمر قوافل الأجيال منا في كنف الوادي الأمين بتلك العظات ، وتتصفح أخراها تاريخ أولاها ، وتتبين العز يكلل جبين القوم متحداً ، وسيف الذل مسلطاً على رقابه متفرقاً :

عظة قومي بها أولى وإن بعد العهد فهل يعتبرون

أجل ، لايعتبرون ولو تـكررت العظة في كل موسم ! !

فاذا أشحنا عن منظر لا يروق ، رددنا إليه الذكر حين ندرك يده فيما يروق ، وفاء للغابر ، وعرفاناً للجميل :

ومن شكر المناجم محسنات إذا التبر انجلى شكر الترابا

* * *

(١) الأمطار جمع مطر بضم الميم وسكون الطاء سنبول الذرة (كوز)

والحياة مزيج ، فهنا تلق بقعة من منضور النبت حالية ، وهناك تلق قطعة من بهجة الأرض عاطلة ، بل قد ينفر سمعك من الأسم الذي يطلقه عليها «أدب الزراعة» فهي تسمى في العرف بوراً

هذا (البوار) مقدمة الخطبة ، وهذه « البائرة » كثيرة الخاطبين فعطلها اليوم مؤقت ، وخلوها قصير الأمد « وبورها » فأل الخير الدافق في المستقبل القريب

هذه القطع الخالية هي المعدّة لزراعة القطن في الموسم القادم ، فهي اليوم رهن التهييء والأعداد

(بورها) كيوم الجمعة عندنا ، تستجم فيه العافية ، وكيوم الأحد عند غيرنا ، جعلوه للراحة والتسلية ، فاذا أقبل يوم السبت أو الأثنين فنشاط يفوق نشاط الأيام الأخرى

عاطلها اليوم كذوى النفع والخير المستخفين ، أو الذين تقصيهم الأوضاع السقيمة وطغيان المتحكمين في البيئة كما قسمت الأرض لمحض فكرة الزارع في الكسب — حتى يأتي عدل الله ، فيقيم المعوج ، ويقصى الضار ، ويظهر الحق ، ولكل أجل كتاب

هذه القطع (البور) غمرها ماء النيل رجاء إخصابها ، ولتجدن من بينها اليوم ما يأنس بالمحراث أنس الطروس بالأقلام ، تسيل علماً وحكمةً وأدباً مُرَوّحاً ، حتى إذا نظرت اليها نظرت الى سطورِ خير في أسرع الصحف تلبية وانتاجاً

ولقد شاد بتلك الروعة الضابط العيوف (محمد توفيق علي) حين اضطر الى ترك الصفوف وخدمة الجيش ، وعكف في مزرعته يغذى ميداني الأدب والزراعة فقال :

وياسطوراً بصحرائي أدبجها
لا يستقل بها القرطاس والقلم

أما « المحراث » الذي يشق لنا الأرض اليوم ليفتح سيل الخير غداً فقد جاءنا بأ كثر من احتلال واحد

فاذا ذكرت «قصر النيل» ومآله ، «وقشلاق العباسية» وعاره ، فانك واجد في أعماق الريف وأينما سرت فوق التربة المصرية «فوردسن» و«لانس» و«هوفر» من معادن غريبة عنا ، وبائعين لا يذكرون لنا من حسنة الاسداد « القسط » ، فاذا أردنا للمحراث حركة ، فلابد من « البنزين » من أمريكا ، « والقار» من رومانيا ، والزيوت من أصقاع نائية

وأما تلك الأوراق التي يوقعها الزارع . فغذاء للمحاكم المختلطة ، وجن يحمل المال من مصر الى أوربا ، وآفة من آفات الأهال قضت على إحدى صناعات الزراعة ، وهي تربية الماشية ، ودهورت أسعار الحبوب والزروع من فول وشعير وعلف ، كانت تحمل من أرضنا الى موانينا ، وتؤدى الثمن في المنيا والخرطوم ، فلا تعدو خيراته الأسكندرية ، ثم يعود في أثواب أخرى الى المدينتين وسواهما من مدن القطر المصري السوداني وبلاده وقراه !

محمد محمود جلال
المحامي

الشاعر والطبيعة

بقلم نظمى خليل

... كل شئ فى هذا العالم محاكاة ، والفن هو أكثر الأشياء محاكاة للطبيعة . والشعر هو أسمى أنواع الفنون ، لأنه لا يعطينا الصوت فقط كما تفعل الموسيقى ، أو الشكل فقط كما يفعل النحت ، أو اللون فقط كما يفعل التصوير ، ولكنه يمزج هذه كلها ويقدم لنا صورة حية تؤثر فى الحواس كأنها الحقيقة بعينها ، بل ربما كانت أكثر حقيقة من الحقيقة ذاتها ، لأن الشئ الذى لا نراه الا بالعين يكون خارجاً عنا ولا يقع تحت إدراكنا ، ولكن عند ما يصفه شاعر موهوب نراه وتشعر به أيضاً ، وتقف على مادق وصغر من كنهه الدفين . بل قد يتفتح هذا الشئ من تلقاء نفسه عند ما تسلط عليه عين شاعر نافذة فتكشف عن دخائله فى غير تستر ولا استخفاء

.. ولكن الشاعر لا يحاكى ما يراه من مظاهر الطبيعة ومناظرها كما يحاكيها الرجل العادى ، بل هو لا ينظر إليها نظرة سطحية ساذجة كتلك التى يلقيها الرجل العادى ، ولكن نظرة الشاعر أوسع وأشمل ، لأنه يعيش فى عالم أوسع وأشمل وأعمق من عالمنا ، وينفذ ببصيرته إلى جوهر الأشياء ولبها . بل إن أذن الشاعر أكثر موسيقية وحساسية من أذن الرجل العادى لأنه يشعر ويسمع كل ما يحيط به من عالم الحس والموسيقى ، ويتبين أنغامه ويستمع أصواته المتوافقة الجميلة . فهو وحده الذى يستطيع أن ينفذ إلى قلب هذا العالم الذى يهتز دائماً بأنغام موسيقية متزنة ، وهو وحده الذى يمكنه أن يفصح عن هذا الجمال الموسيقى فى صوت قوى جذاب ، لأن صوت الشاعر أقدر الأصوات وأصلحها لأداء هذه المهمة السامية الجليلة

فقد يقف إنسان على صخرة عالية وينظر إلى البحر الذى أمامه فيراه يتحرك ثم يصطفق ثم يعلو ثم يفيض ثم يهتز ثم يلمع فلا تهيج فيه هذه الصور الجميلة المتتابعة شعوراً ولا تهز منه قلباً ، ولعله لا يفطن إلى هذه التغيرات السريعة المتعاقبة ، ولا يفقه لهذه الحركات والتموجات المائية جمالاً ، ولكن هذه الصور المتحركة الجميلة لا تمضى دون أن تثير فى الشاعر نوعاً من الاحساس العميق القوى فتدفعه إلى تحريك اللسان ، كما حركت لسان تنيسون من قبل فقال : « إن البحر المتجعد يدلف تحته » أو كما حركت لسان بيرون فى المحيط فقال : « مرحى ! مرحى ! أيتها الأمواج الزرقاء . مرحى مرحى أيتها المغاور والفجاج ! إلى الأمام أيها السفين الى الأمام ! إن أرض الوطن قد توارت . أيها الوطن سلام عليك ! اصطخب أيها المحيط الأزرق العميق ، اصطخب أيها المحيط لقد أحببتك . وعلى صدرك كانت ملاعب صباى ، ومواطن سرورى ؛ كنت أعبث بأمواجك صبياً وكان ذلك أعظم سرورى . فان جعلها البحر رعباً فما أحبه رعباً ! كنت ألجأ إليك كأنك أبى ، وأخلد الى أمواجك القريبة والبعيدة ، وأمر بيدى على لبدك المتكاثفة كما أفعل هنا الآن . »

وقد يقف إنسان بجانب ماء آخر ليس لامعاً ولا متحركاً ، ولكنه مظلم عميق ، فلا يفكر فى جمال هذه الصورة ولا يشعر بها ، لأنه لم يوهب حساسية غزيرة أو شعوراً قوياً عميقاً يدفعه الى أن يديم النظر فى مثل هذه الصورة الطبيعية الأخاذة ، ولكن الشاعر الذى يشعر بهذا الكون ويفكر فى هذا الكون ، لا يفوته هذا الجمال الطبيعى الساذج فيصيح من تلقاء نفسه كما صاح تنيسون من قبل إذ يقول : « إنها عين ماء نائمة »

. . . فالشعراء يشعرون بما حولهم من عالم الحس والطبيعة وهم لا يقنعون بهذا العالم الأرضى ، بل يشركونه بالعالم السامى ، عالم الخيال ، دون أن ينفصلوا عن عالمهم الأول . أما أولئك الذين لا يحسون بهذا العالم السامى ، عالم الفكر الدقيق ، والخيال البعيد ، فانهم لن يكونوا شعراء وإن كانوا يستطيعون النظم ونحت القوافى

وقد يتمادى بعض الشعراء فى شعورهم بهذا العالم الآخر فينسون أنفسهم وهم يحلقون اليه فيضلون الطريق ولا يستطيعون الرجوع الى أوكارهم الأولى فيمضون يضربون بأجنحتهم فى الفضاء على غير هدى حتى ينالهم التعب ويلحقهم اليأس فيهوون من سماء عليائهم محطمين . . . .

. . . فالشعراء حقاً هم الذين يصلون العالمين ، ويجمعون بين الحياتين : حياة الواقع وحياة الخيال . الشعراء حقاً هم الذين يتأثرون بما حولهم ويأخذون جانباً كبيراً من عواطفهم من العالم الظاهرى ، من نسائه وأزهاره وأجوائه ودقائقه ؛

ثم هم يلقون على هذه العواطف ألواناً من العالم الخفى حتى تظهر كأنها غريبة عنا . . .

فالشاعر لا يرى الأسد كما يراه عالم الحيوان ، ولكنه يخلع عليه صوراً تجمع بين ضروب المشابهة والضد ، فيتأمله فى حالات عدة كالذعر والخوف والاعجاب ، وقد يأتى وصفه بعيداً عن الحقيقة ، ولكنه وصف شعرى جميل على كل حال

فليس المهم فى الأمر هو صدق الوصف ومطابقته للواقع أو عدم مطابقته ، بل الشيء المهم هو صدق عاطفة الشاعر . فان لم يكن الشاعر صادق الشعور والعاطفة جاء شعره رديئاً ... ووصفه غثاً

. . . ونظرة الشاعر لزهرة السوسن الأبيض ليست كنظرة البستانى لها ، وليست نظرة هذين الاثنين كنظرة عالم النبات الأخصائى . فاذا سألت البستانى عن هذه السوسنة لم يزد على أن يذكر اسمها ؛ هذه حقيقة ، ولكن الشاعر لا يقف عندها بل قد يجيبك كما أجاب « سبنسر » « إنها سيدة الحديقة » وهنا نبتدىء نحس ببعض ما فى هذه الزهرة من جمال شعرى وحسن ، وقد يأتى شاعر آخر « كبن جونسون » وينظر الى هذه السوسنة متأملاً فيقول « إنها نبتة الضوء وزهرته » وهكذا يظهر لنا الشعر الجميـــل هذه الزهرة فى حلل بهائها وسرها الدفين

***

الآن وقد عرفنا أن مادة الشعر هى الحياة ، كما هى مادة كل فن آخر من الفنون السامية ، وأن غـذاءه من الطبيعة ، وهى غذاء سائر الفنون ، نريد أن نعرف مـدى تأثير طبيعة إقليمنا المصرى فى شعرائنا المصريين

لقد قدمت أن الشاعر الحق هو الذى يشعر بما حوله ، أى هو الذى يحس بطبيعة بلاده أو البلاد التى يعيش فيهـا ، فيتأثر بجوها ، ويستلهم سماءها ومناظرها ، فتوحى اليه بروائع الأشعار

هذا ما كان عليـــه ذلك الشاعر الجاهلى الذى عاش فى الصحراء ، والذى أفصح عن حياته البسيطة الساذجة فى أسلوب شعرى دافق

عاش الشاعر العربى القديم تحت سماء صافية سافرة ، وفوق رمال مترامية متصلة ، وجبال تتفاوت علواً وانخفاضاً . يجيل بصره فيما حوله فلا يرى إلا كثباناً من الرمال ، وأودية ممرعة نبتت حول بعض الآبار ، وقطعاناً من الأبل تروح وتغدو على هـذه المراعى الخضراء . هذا ما كان يراه ، وهـذا ما ألف رؤيته كل يوم ، فلم يحاول له تغييراً . . .

لم يعرف حياة الاستقرار والطمأنينة ، ولم يتعود حياة الرفاهية والكسل ، بل كانت حياته حرباً مع الطبيعة ، لا ينفـك عن الصراع معها . لذلك جاء شعره صدى لتلك الحياة القوية العنيفة التى كان يحياها قوياً عنيفـاً ، يعبر عما كان يعصف بقلبه من أشواق ولهب ، وما يتنازعه من ثورات ونزوات . ومن أجل هـذا نرى الشعر الجاهلى أصدق أنواع الشعر لسلامة نفوس قائليه . فهو شعر الفطرة والسذاجة لا شعر الصنعة والتكلف . هو خال من كل فن ورياء ، يكشف عن نفسية عربية سليمة ، وروح أبية كريمة . ومن أجل هذا نجد كل ما فى هذا الشعر من صور قد أخذها الشاعر مما حوله ، فهو يستهل قصيدته بوصف الأطلال ، ودار الحبيبة التى أقفرت وخلت بعد أهلها . ثم يصف النؤى والأحجار التى حول هذه البيوت ، وكيف أن هذه النؤى قد أعانته على معرفة هذه الديار بعد غياب دام سنين طوالاً . ثم يذكر حبيبته وما كان بينهما من حب ، وينتقل من هـذا الى وصف ناقته وصفاً دقيقاً ، يصف جسمها وسرعتها ، وصبرها على وعورة الطريق وبعد السفر . ثم ينتقل بعد هذا إلى موضوع القصيدة من مدح أو فخر

هذا شأن الشاعر الجاهلى الذى عاش فى قلب الطبيعة ، والذى تأثر بالطبيعة ، ففاضت نفسه بحبها والاشادة بجمالها .

فأين شعراء مصر اليوم من أولئك البدو الذين صوروا لنا تلك المناظر الجافة من رمال وجبال وأطلال قد لا تثير إعجاباً ، ولا تهز قلب من يراها اليوم فى صور شعرية كلها صدق وجمال

ما بال شعرائنا المصريين قد جهلوا الطبيعة وتغافلوا عن أثرها القوى فى حياة الشعر وخلوده ؟

. . . إن أدبنا المصرى الحديث على ما يزخر به من دواوين شعرية لا تعد ، وكتب نثرية لا تحصى ، أعجز من أن يقف بجانب غيره من الآداب الغربية كالفرنسى أو الانجليزى فى وصف الطبيعة . فاذا عرضنا الى الأدب المصرى الحديث فاننا نجده خلواً من الأوصاف الطبيعية والصور الريفية

أليس من النقص المعيب فى أدبنا العصرى ألا نرى فيه أغانى شعبية تمتزج بالطبيعة المصرية وتصطبغ بالصبغة القومية ؟ أليس من العيب أيضاً أن نجد شاعراً انجليزياً « كلى هنت » يصف النيل ويستمع الى ضحكات كليوباطرة وسط خرير مائه العذب ويستوحى طبيعة مصر الشاعرة فتأتيه الصور متزاحمة فيندفع شعوره مع تيار النهر ويمتزج بطبيعته ثم يفيض على جانبيه شعراً قوياً جميلاً ؟ بل أليس منظر الفيضان وجريان مائه فى قلب الوادى مما يثير فى كل مصرى شعور العزة والمجد والفخار ، ويهز قلب كل شاعر مصرى فيترنم بأناشيد الحب والجمال . . ليس من شك فى أن طبيعتنا المصرية طبيعة جميلة ، شاعرة ، وليس من شك فى أن طبيعتنا المصرية طبيعة هادئة تبعث على التأمل والتفكير . . ولكن لمَ لم تلهم شعراءنا المصريين هذا الشعور القوى والاحساس الغزير الذى نحسه فى شعراء الطبيعة الغربيين ولا سيما الانجليز ؟ إن الذى يقرأ وردزورث وبيرون وشلى وكيتس ، وغيرهم من الشعراء الابتداعيين الذين ظهروا فى أوائل القرن التاسع عشر يشعر بقوة هذا الشعر وأثر الطبيعة فيه ، بل يشعر بأن روح الشاعر قد امتزجت بما حولها من الجبال والوديان والبحيرات والبحار فصارت جزءاً منها

. . ومن يقرأ « شلى » يقف على سر إحساسه بالجمال . فهو لم يرض بهذا العالم ليكون مأوى صالحاً لروحه ، ولكنه لم يجعله عدواً لمثله الأعلى . فهو يتساءل لم لا يكون جميلاً كالبحار والنجوم والبحيرات والغابات والجبال . فطبيعة شلى كانت ميالة دائماً الى ازدراء الحقيقة

وإن من يقرأ مناجاة شلى للقبّرة يقف على تلك العاطفة القوية ، عاطفة الحب التى تسلطت على جميع مشاعره ، فهو يقول : « سلام عليك أيها الطائر السامى الذى لم تلامس الأرض ، ولكنك تحلق فى أطباق السماء العامرة بينابيع الفن الأصيلة حيث تنسكب فى قلبك . ترتفع عن الأرض وتسمو عالياً وعالياً كسحابة من نار ، وترفرف بجناحيك فى أعماق الجو الصافى . ثم تشدو وأنت تغنى ، وتغنى وأنت تشدو . . . فى الأنوار الذهبية للشمس الغارقة فى بحار السحب تطير وتسبح . أيها الطائر إنك وإن كنت بعيداً عن أنظارنا ، ولكنى أسمع أنشودة سرورك ، تملأ الأرض والجو بصوتك إذا ما خلع الليل رداء السحب وسقطت أشعة القمر الباردة فغمرت الكون . . . أيها الطائر إنك شاعر مختبىء فى ضوء الفكر يترنم بأناشيد الخلود ، حتى يتنبه له العالم فيحنو على الآمال ولا يبالى بالمخاوف . . . خبرنى من أى الينابيع تستقى سعادتك ؟ أمِنَ الحقول ، أم من الأمواج ؟ أم من الجبال ، أم من الأجواء ، أم من السهول ؟ إن سرورك الصافى العميق لن يفتر ولن يقل ، وإن شبح الكدر لن يحوم حولك ، إنك تحب ، ولكنك لم تشرب قط ثمالة الحب المحزنة . . . . . »

وقد تحس وأنت تقرأ شعر بيرون بذلك التجاوب القوى بين روح الشاعر وروح الطبيعة . تلحظ ذلك واضحاً فى سياحته الثانية فى أوربا عندما يترك الآثار والتاريخ والمجد والشهرة والشعوب وماضيها وينحاز الى جانب الطبيعة ، فيتحدث اليها فى شعر عذب رقيق ، فيقول : « إن الطبيعة المحبوبة لا تزال أبر أمّ بنا ، ومع أنها دائمة التغير فهى باسمة دائماً ، فدعنى أرتمى على صدرها العارى الحنون ، فانها لم تفطم ابناً وإن لم يكن عزيزاً لديها . . . إنها أجمل ما تكون فى مظاهرها الوحشية حيث لاشىء إلا السذاجة والفطرة والبعد عن كل زينة وصنعة . إنها تبتسم لى دائماً ، ليل نهار ، مع أنى أرقبها حيث يخلو الطريق من الناس ، وأبحث عنها فى دأب وصبر ، وأحبها فى شغف وكلف عند الغضب . . . . أيتها البحيرة الساكنة السطح الراقدة الماء . لقد لجأت اليك فى هذا العالم الصامت . إن فيك لدفئاً لفؤادى ، وإن فى مياهك الهادئة لراحة لنفسى وسلواناً .. طالما أحببت اصطخاب البحر وزئيره ولكن وسوسة مياهك الناعمة والهدير المردد بين ضفافك يرن فى أذنى حلو الأنغام كأنه صوت أختى أتانى خلال مياهك . . . إن أقوى اللذات لا تبعث بروحى هكذا . . .

. . . هاهو الليل . . أيها الليل الجليل . إنك لم ترسل للنوم . دعنى أقاسمك أنسك ووحشتك ، وأتلاش فى العاصفة وأفنى فيك .. كيف تضىء البحيرة ، وكيف يلمع البحر ويأتى المطر راقصاً مهتزاً الى الأرض .. »

. . . قد يقول قائل إن الطبيعة المصرية خلو من مناظر سويسرا ، مفتقرة الى الجبال الشامخة والوديان العميقة والبحيرات

الجميلة . فهى طبيعة هادئة لينة أقرب الى الضعف منها الى القوة .

وقد يشتط فى القول فيعلل ضعف أثر الطبيعة فى نفوس شعرائنا المصريين بعدم وجود التيارات الثلجية والجو القارس الذى يبعث النشاط والحركة . قد يكون لهذا الاعتراض بعض وجاهته . وقد تكون الطبيعة المصرية مفتقرة الى هذا العنصر من عناصر القوة ، وقد تكون الطبيعة المصرية متشابهة المناظر موحدة الصور . فقد لايشعر المسافر من الأسكندرية الى أسوان باختلاف كبير فى طبيعة وادى النيل ، فقد يجد سهولاً مترامية تكسوها النباتات الخضراء فى أراضى الدلتا . وقد يجد وادياً ضعيفاً تكتنفه على الجانبين جبال تتفاوت فى البعد والقرب فى أقليم الصعيد

قد تكون وحدة الصور هى التى عملت على إضعاف أثر الطبيعة فى نفوس شعرائنا فجعلتهم ينصرفون عنها ، ويستوحون طبيعة أوربا ذات الصور المتعددة والأشكال المتباينة . قد يكون لوحدة الطبيعة المصرية ، وقرب تشابهها بعض الأثر . ولكن هذا الأثر لا يجعل شعراءنا وكتابنا ينسون أويتجاهلون أثر الأقليم المصرى كله ، أثر ذلك الجو الصافى والسماء الزرقاء والحقول المنبسطة

إنى لا أنكر أن بيننا كتاباً وشعراء طبيعيين قد أحسوا بما جهله غيرهم ، وأنهم قد شعروا بهذا النقص المعيب فى أدبنا فأرادوا أن يسدوه

... ولكنى أتساءل فى صراحة غير جارحة ، هل كان شعورهم بطبيعة بلادهم آتياً من طبيعة نفوسهم . هل أووا الى طبيعة بلادهم يستلهمونها هذا الفن الخالد ، فن الأدب السامى الرفيع بدافع نفسى خالص ، أم أن أثر الثقافة الغربية والتأثر بالشعراء الابتداعيين فى فرنسا وانجلترا كان هو الموجه لهم الى ذلك ...

... إنى أخاف أن يكون هذا صحيحاً . وأخاف أن تكون طبيعتنا المصرية الجميلة الساحرة ، طبيعتنا المصرية المتأملة المفكرة قد عجزت عن أن تلهم شعراء مصر الشعور بالجمال والغبطة والهدوء . أخاف أن تكون طبيعتنا المصرية الشاعرة عاجزة عن أن تستأثر بأبنائها الكتاب والشعراء فتجذبهم نحوها وتفنى فيهم ويفنون فيها كما تفعل الطبيعة الانجليزية مثلاً . . .

أرجو أن تكون طبيعتنا المصرية قوية كما هى جميلة ، ساحرة كما هى هادئة . وأرجو أن يكون هذا النقص راجعاً الى شعرائنا الذين لايكادون يشبون حتى يتركوا أمهم الرءوم وينسون موطنهم الأول ويدلجون فى ظلم الحياة فتلهيهم عن ذلك المستودع الغني بفنون الحسن والجمال

نظمى خليل
بكالوريوس فى الأدب الانجليزى

آخر طلق من بندقيتي

للامارتين

خرجت ذات يوم للصيد ، فلمحت على بعد ظبياً تلوح عليه دلائل الطهارة والغبطة وهو يقفز مرحاً فوق الخضرة التى بللها الندى

ويظهر أن الغريزة التى تخلقها العادة تتغلب دائماً على الطبيعة النفور من القتل ، ولذلك لم أشعر إلا وقد فتتت رصاصتى إحدى كتفيه . وعندئذ أخذت أقترب منه وقد هرب دمى واضطربت نفسى ، لأن ذلك الحيوان الوديع كان ورأسه ملقًى فوق العشب ينظر إلىّ بعينين تسبح فى مآقيهما الدموع

نعم إننى لن أنسى تلك النظرة التى جمعت بين دهشته وألمه ، لأنها كشفت لى عن مبلغ شعوره الناطق وإن كان أبكم . شعرت كأنها توجه إلىّ مرير العتب على قسوتى التى لم تقم على سبب ، وكأنها تقول لى :

« من أنت ؟ إنني ما أسأت إليك . بل ربما كنت من الصابرين على حبك . فلمَ طمنتني تلك الطعنة القاتلة ؟ ولمَ تطمع فى حصتى من السماء والهواء والنور وتحول بيني وبين الحياة والشباب ؟ ماذا يكون حال أمى واخوتى وصغارى وصحبى وهم يرقبون عودتى إذا لم يروا بعد ذلك إلا بعض نتف مبعثرة من صوفى على أثر اعتدائك ، وهذه النقط من دمى الذى لطخت به وجه هذا العشب النضير ؟ أفاتك أن فى السماء منتقماً لى وقاضياً لك ؟ ومع ذلك فقد صفحت عنك ، وهاهاتان عيناى لم يعد فيهما أثر للحقد ، لأننى فطرت على التسامح ، حتى مع قاتلى ! »

محمود خيرت

أسطورة هندية

قلب الشــــاعر

للأديب حسين شوقي

لما فرغ الآلهة من خلق العالم السفلي، دعوا إلى حضرتهم الشاعر الذي كان قد سئم الأقامة بجوارهم وقالوا له: «إن الحياة هنا كما نرى عابسة لا تسرك أيها الشاعر، إنك في حاجة إلى التسلية.. إذهب إلى العالم السفلي الذي فرغنا من خلقه عساك تسر بما تشاهد هنالك من مناظر وملاه، ولسوف تدهشك أخلاق الذين أسكناهم إياه.. إنما يجب أن نحذرك تعاطي مخدر يتناوله بنو البشر يدعى الحب، لأن هذا المخدر قتال وإن كان لذيذاً، وبخاصة لقلب شاعر رقيق..»

انصرف الشاعر من حضرة الآلهة بعد أن سجد لهم شكراً على هذا العطف، ثم تناول مظلة ففتحها ثم هوى بها في الفضاء آخذاً طريقه إلى الأرض.. ماكاد شاعرنا يهبط حتى عرف أن البشر مقسمون الى ثلاث طبقات: العظماء، والأوساط، والفقراء.. قصد الشاعر طبقة العظماء على ظن أن هذه الطبقة تجمع ولا شك خلاصة الناس وأرقاهم.. وهنالك وجد الشاعر قصوراً فخمة حليت جدرانها بالذهب وكسيت بالحرير، ولكن اشتدت دهشته حينما وجد حجرات هذه القصور قد انقلبت الى معامل للدسائس يديرها الحقد، والطمع. والغرور.. كما أنه شاهد في هذه القصور أناساً تبهر ثيابهم الأنظار بوشيها الفاخر العجيب، ولكن قلوبهم ويا للأسف! صيغت من النحاس.. انصرف الشاعر عن هؤلاء العظماء وهو حانق لما شاهد فيهم من أخلاق لاتتفق ومثله العليا.. ثم قصد الطبقة الوسطى.. فوجد قوماً يجدون ويكدون في جمع المال، فاذا حصلوا عليه أخذوا يحاكون طبقة العظماء محاكاة القرد للانسان.. عاف الشاعر هذا المنظر أيضاً فانصرف الى عالم الفقراء عساه يجد في النهاية مثله العليا لدى هذه الطبقة القانعة المتواضعة.. فوجد الشاعر قلوباً تحاكي الماس صفاء، ولكن وجد بجانبها ويا للأسف! بؤساً وانحطاطاً وأموراً لاتتفق وروح الشاعر الأرستقراطية..

ضاق الشاعر بالبشر ذرعاً فقصد الخلاء، فرأى فيه أودية ناضرة، وأنهاراً زاخرة، وزهوراً بهيجة الألوان، وبلابل تكاد تنفجر حناجرها الصغيرة من كثرة الألحان.. حقاً، كلها مناظر جميلة، ولكن أين هذه الطبيعة المتواضعة من حدائق الآلهة الغناء حيث كان مباحاً للشاعر النزهة والتروض في أي وقت شاء؟..

يئس الشاعر من العالم السفلي وكاد يعود الى السماء، إلا أنه فكر في اللحظة الأخيرة في تناول مخدر الحب الذي حذرته منه الآلهة، لأن النفس تواقة بطبيعتها الى استيعاب المحظور وكشف المستور

كان الشاعر كلما قصد صيدلية يسألها هذا المخدر شيمه أصحابها إما بالسخرية، وذلك اذا ظنوه مجنوناً، وإما بالغضب، وذلك اذا ظنوه عابثاً... ولما يئس من الحصول عليه، رجع الى الخلاء فجلس هناك فوق ربوة في مكان تظلله شجرة صفصاف متهدلة الأغصان، وهو مطرق الرأس؛ فأطل عليه حينئذ ررزور فضولي من فوق غصن وقال: فيم تفكر أيها الشاعر الصديق؟ فقص عليه الشاعر قصته لعل هذا العصفور يهديه الى ما يريد، فهو دائم الحركة والتنقل في حدائق البشر وحقولهم، فلا شك أنه يعرف عنهم أشياء كثيرة...

أغرب العصفور في الضحك من قول الشاعر حتى كاد يسقط من فوق غصنه وقال: تبحث عن الحب؟ هاكه! ثم أشار الى مكان آخر من الربوة ظلله كذلك الشجر الكثيف، فنظر الشاعر حيث أشار فوجد فتاة آية في الحسن، تجلس وحدها تغزل الصوف.. أخذ الشاعر لجمالها الرائع وأدرك معنى الحب من نفسه حينما حل هذا الأكسير العجيب في قلبه..

ثم أخذ شاعرنا يتدفق في إنشاد الشعر فعجب من السهولة التي صار ينشده بها، ومن أن هذا الشعر أصبح أرق وأعذب من قبل.. ودهش من أمر هؤلاء الآلهة الذين يحرمون مثل هذا المخدر العجيب..

ولما كانت الفتاة تختلف كل يوم الى هذا المكان تقضي فيه ساعة أو ساعتين في غزل الصوف كان الشاعر يأتي لينظر اليها متأملاً ملامح وجهها الفتانة في خشوع وإجلال، فاذا انصرفت أخذ ينشد هذه المحاسن في صوت جميل أيضاً، لأن

بين فني التاريخ وفن الحرب

١٢ – خالد بن الوليد *

في حروب الردة

للفريق طه باشا الهاشمي

رئيس أركان الجيش العراقي

« لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في بدني شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة ، وهأنذا أموت على فراشي كما يموت البعير ! فلا نامت أعين الجبناء »

خالد بن الوليد

الصفحة الثالثة

جرى القتال في هذه الصفحة حول الحديقة ، والحديقة تشمل بساتين القرية المسورة بالجدران . وهذه البساتين كثيرة في قرى اليمامة . والكثير من قرى العارض والوشم والقصيم والسدير له بساتين . فبساتين القرية على ما يتراءى لنا واقعة في بطن الوادي ، ولا يعقل أن تكون على صدفه لصعوبة استقاء الماء لأروائها ، لأن الآبار على ما نعلم في بطن الوادي تتصرف اليها مياه الأمطار

ويذكر المستر فلبي عندما يبحث في الجبيلة أنها واقعة على الضفة اليمنى من الوادي ، وأن قبور الصحابة الذين قتلوا في عقرباء موجودة في الضفة المقابلة لقرية الجبيلة وعلى مسافة ربع ميل منها . وهذا مما يدل على أن الحديقة واقعة في الوادي تحيط بها الجدران المبنية بالحجر والطين وعلوها ، أكثر من قامة كما هو شأن الجدران التي تحيط بالبساتين عندنا

ولبى الحنفيون نداء المحكم فهجروا ميدان القتال تاركين قتلاهم فيه لدخول الحديقة واعتصموا بها مؤملين المقاومة فيها

وطارد المسلمون بني حنيفة الى الحديقة فأحاطوا بها وتوقفوا مدة من الزمن مترددين . وكان التجاء الحنفيين الى الحديقة وبالاً عليهم

ويظهر من أخبار الرواة أن مسيلمة قتل في أثناء الهزيمة الى الحديقة برمية حربة . وقد ادعى عدة أناس قتله . وكل فرقة من فرق المسلمين أرادت الاشتراك في قتله . وكان للحديقة باب أغلقه المهزومون بعد أن دخلوها وقرروا المقاومة فيها الى اللحظة الأخيرة



منظر حديقة من حدائق نجد وهو المسور بالجدران

(*) وهو بحث فني قيم لا يضطلع بمثله اليوم فيما نعلم غير كاتبه الفاضل « الرسالة »

أوتار صوته صارت ذات رنين كرنين الذهب من جراء الحب ، حتى أن بلابل الوادي كانت تسكت اذا مرّ بها الشاعر لتصغي الى قلب الشاعر وهو يبوح بأول حب له . .

ونقل الآلهة صوت الشاعر بواسطة الراديو وأخذوا يستمعون اليه في سرور عظيم . .

ثم انقطعت الفتاة عن المجيء الى الربوة ، فانقطع الشاعر عن الانشاد . .

قلق الآلهة حينما انقطع إنشاد الشاعر ، فأرسلوا رسولاً الى الأرض يأتيهم بالخبر ، وقد خيل اليهم لأول وهلة أن الانقطاع نشأ عن عطب في محطة الاذاعة . . فعاد الرسول بعد قليل من الزمن يقول : إن المحطة لم يصبها عطب ، وانما العطب وا أسفاه أصاب قلب الشاعر فتمزق قطعا تحت شجرة الصفصاف !

كرخ ابن هانئ — حسين شوقي

وبعد أن تريث المسلمون ردحاً من الزمن ، مترددين فيما يفعلون ، صرخ فيهم البراء بن مالك قائلاً : « احملونى الى الجدار حتى تطرحونى عليه » . فساعدوه على التسلق ومع أن رواية ابن اسحاق تزعم أن البراء وحده تسلق الجدار فاقتحم الحديقة وقاتل الحنفيين على الباب حتى فتحه للمسلمين ، إلا أننا نجزم أن رجالاً آخرين تسلقوا معه الجدار وكان بعضهم على الباب

وبعد أن دخل المسلمون الحديقة أوقعوا بالحنفيين إيقاعاً ذريعاً ، وكانت مذبحة لم يشهد المسلمون مثلها وقد سموها حديقة الموت ، ومع أن روايات الطبرى جميعاً تروى أن المسلمين قتلوا جميع الحنفيين فى الحديقة ، إلا أن رواية ينقلها ابن حبيش تزعم أن بعض الحنفيين فر من الحديقة بعد أن دخلها المسلمون

وفى رواية يذكرها ابن حبيش والبلاذرى أن نساء المسلمين أيضاً اشتركن فى المعركة . ولقد كسب المسلمون المعركة بعد أن حاربوا من الصباح إلى العصر ، ولم يعلموا بهول المصيبة إلا بعد أن توقفت رحى القتال وراحوا يكشفون عن القتلى فى الميدان

وفى رواية عن أبى سعيد الخدرى الذى اشترك فى القتال أن خالداً أمر السقاة بعد صلاة العصر أن يسقوا الجرحى ، وكان أبو عقيل بين الجرحى فيه خمسة عشر جرحاً . أما بشر بن عبد الله فكانت أمعاؤه خارجة من بطنه . وكل هذا يدل على شدة القتال

الخسائر

يبالغ المؤرخون فى تقدير خسائر الحنفيين . فسيف بن عمر مثلاً يزعم أن قتلى بنى حنيفة بلغوا عشرة آلاف فى المعركة وفى القتال فى حديقة الموت . وفى رواية أخرى يزعم أن عدد قتلى بنى حنيفة بلغ واحداً وعشرين ألفاً ، سبعة آلاف منهم فى المعركة وسبعة آلاف فى حديقة الموت وسبعة آلاف فى المطاردة

ولكننا نستبعد هذا العدد ، إذ سبق أن ذكرنا أن قوة الحنفيين فى معركة عقرباء بلغت عشرة آلاف مقاتل . والثابت أن بنى حنيفة كابدوا خسائر فادحة سواء فى ميدان المعركة لثباتهم فى محلهم ، أم فى الحديقة لأنهم بالتجائهم إليها مكنوا المسلمين من أن يقطعوا عليهم خط الانسحاب فقضوا عليهم القضاء المبرم . ولعل عدد قتلاهم بلغ أكثر من ثلاثة آلاف . ومما يدل على كثرة القتلى فى بنى حنيفة اندثار اسمهم بعد هذه المعركة وعدم اشتراكهم فى الفتوح . ويقول البرنس كاتيانى فى كتابه الآنف الذكر(*) « ان محدثى المسلمين يبالغون فى ذكر خسائر بنى حنيفة . فانهم يذكرون أن كل ذكر بلغ سن الرشد قتل فى المعركة . ومع ذلك فان أحد الأدلة التى تدل على أن الحنفيين كابدوا خسائر لاتتناسب مع عددهم هو أن هذه القبيلة التى كانت قبل الاسلام كثيرة النفوس مرفهة العيش إن لم يكن لديها شىء فان كثرة عددها وحده يجب أن يجعلها ذات حصة كبيرة فى المعارك التى نشبت بعد ذلك . ولكننا نرى أن ذكر هذه القبيلة يكاد يدرس تماماً من تاريخ الاسلام ، وأن اسم الحنفيين لايذكر على الاطلاق حتى على انفراد »

أما خسائر المسلمين فكانت كثيرة بالنسبة إلى عددهم أو مقدار الخسائر التى كابدوها فى المعارك السابقة . فالروايات فى عدد قتلى المسلمين مختلفة ، فهى متفاوتة بين ٥٠٠ و١٧٠٠ . ويروى عيسى بن سهل عن جده رافع أن قتلى المسلمين بلغ عددها نصف قتلى الحنفيين ، وأن الأنصار وحدهم (وكان عددهم خمسمائة مقاتل) خسروا سبعين قتيلاً ومائتى جريح . أما أبو سعيد الخدرى فيزعم أن عدد قتلى الأنصار بلغ سبعين ، ويقول زيد بن طلحة أن قتلى المهاجرين بلغوا السبعين وقتلى الأنصار بلغوا السبعين أيضاً وأن مجموع قتلى باقى المسلمين بلغ الخمسمائة .

أما سالم بن عبد الله بن عمر فيذكر أن مجموع قتلى المسلمين بلغ الستمائة . وأما البلاذرى فيقول : « وقد اختلفوا فى عدة من استشهد فى اليمامة فأقل ماذكروه من مبلغها سبعمائة وأكثر ذلك ألف وسبعمائة . وقال بعضهم إن عدتهم ألف ومائتان ، والذى يلوح لنا أن هذا العدد الأخير هو الأصح . وهو يؤيد الرواية التى يرويها الطبرى نقلاً عن سهل إذ يقول : « قتل من المهاجرين والأنصار من أهل قصبة المدينة يومئذ ثلثمائة وستون ، ومن المهاجرين من أهل المدينة والتابعين باحسان ثلثمائة من هؤلاء وثلثمائة من هؤلاء ستمائة أو يزيدون . »

وذكر المؤرخون أسماء الشهداء من المهاجرين والأنصار ونظموا قائمات بذلك . ويتضح من مطالعتها أن بين القتلى زيد بن

(*) Annalli Dell islam

الخطاب قائد القلب ، وأبا حذيفة بن عتبة قائد الميمنة وشجاع بن وهب قائد الميسرة وقيس بن ثابت قائد الأنصار ، ويدل كل ذلك على شدة القتال فى المعركة

يقول ضرار بن الأزور فى يوم اليمامة :

ولو سئلت عنا جنوب لأخبرت   عشية سالت عقرباء وملهم
وسال بفرع الواد حتى ترقرقت   حجارته فيها من القوم بالدم

بعد المعركة

بدأت المعركة صباحاً على ما ذكرناه فيما تقدم وانتهت عصراً ولم يبق وقت للمطاردة . وقد نهك التعب قوى المسلمين وأضاعوا خيرة رجالهم ، واستشهد أكثر حفظة القرآن . لذلك نجزم أن المسلمين قضوا ليلتهم فى جوار الحديقة للترويح عن أنفسهم من عناء الحرب ، تأهباً للمطاردة فى اليوم التالى . ومع أن نتيجة المعركة كانت فاصلة لم تزل أرياف اليمامة فى الخلف (وفيها المؤن والذخائر والقسم الذى لم يشترك فى القتال من بنى حنيفة) ، والقرى فى الأرياف جميعاً منيعة وفيها الحصون والأبراج

ويذكر الطبرى نقلا عن سيف بن عمر أن عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبى بكر طلبا من خالد أن ينزل بالناس على الحصون . وكانا يقصدان بذلك ألا يترك مجالا للبقية الباقية من بنى حنيفة لتستعد للمقاومة . أما خالد فلم يشأ محاصرة الحصون ، بل رجح أن يوفد سرايا الخيالة الى الأطراف لتلتقط من ليس فى الحصون ، وكان يعلم أن منازلة الحصون تكبد المسلمين ولا سيما أنهم اطلعوا على كبر المصيبة بعد أن تفقدوا القتلى . وكان من رأيه أن يلقى الرعب فى قلوب بنى حنيفة ويدهشهم بسرايا الخيالة التى تتجول فى حيهم وتقبض على كل من تلقاه . وشأنه فى ذلك شأن القواد الذين لا يريدون أن يضيعوا الوقت فى الحصار ، ويتركوا فلول أعدائهم يفلتون من يدهم .

ولقد أصاب خالد فى رأيه ، لأن سرايا الخيالة أصابت خوت ما وجدت من مال ورجال ونساء وصبيان ، فضمها الى الغنائم فى المعسكر

الصلح

أثبت خالد فى عقده الصلح مع أهل اليمامة أنه سياسى حازم بقدر ما كان قائداً محنكاً

انتهت المعركة وقد خسر المسلمون خيرة رجالهم من الصحابة أما القبائل فقد قتل منها رجال كثير . فالعراك من الصباح الى العصر بتلك الشدة والمقاومة التى أبداها الحنفيون ، مما زاد فى حنق المسلمين عليهم . وكانت القبائل تريد غنماً يوازى التضحية التى تحملتها . أما الصحابة فأقل ما أرادوه العمل بوصية الخليفة وهى « ومن لم يجب داعية الله قتل وقوتل حيث كان » والداعية الأذان — فاذا آذن المسلمون فأذنوا ، كفوا عنهم ، وإن لم يؤذنوا عاجلوهم ، وإن آذنوا سألوهم ما عليهم ، فان أبوا عاجلوهم ، وإن أقروا قبل منهم ، وحملهم على ما ينبغى لهم »

فبنو حنيفة لم يجيبوا الداعية ، بل قاتلوا المسلمين وقتلوا نخبة الصحابة وقضوا على حفظة القرآن . فكان عقابهم القتل عملاً بوصية الخليفة ، فالروايات جميعاً تدل على أن الأنصار والمهاجرين كانوا يلحون على خالد بمعاملة بنى حنيفة بصرامة

أما خالد بن الوليد فنظر فى الصعوبات التى لقيها فى التغلب على الحنفيين وتأمل عاقبة الشدة التى يظهرها نحوهم ان هم أبوا وقاوموا فى حصونهم فامتنعوا بها . وقد دلت المعركة على أنهم متفانون فى التضحية . ولا بد من أنه علم أن حزباً من الحنفيين وعلى رأسه سليمة بن عمير يريد المقاومة حتى الموت . لذلك لم يتردد قط لما عرض مجاعة بن مرارة توسطه لعقد الصلح . وكان هذا أسيراً عند المسلمين وقد احتفظ به خالد ليستفيد منه . وكانت الشروط التى فرضها على مجاعة ثقيلة وهى تتلخص فى أن يُعطى الحنفيون كل ذهبهم وفضتهم وسلاحهم وخيلهم ، وأن يسبى جميع الأسرى

حمل مجاعة هذه الشروط وهو يضمر الخير لبنى قومه ويريد أن يخفف حملهم بعد أن أصابهم ما أصابهم ، لذلك أقام النساء والشيوخ على الحصون ليحمل المسلمين على الاعتقاد أنهم يريدون الدفاع عن حصونهم . فرجع مجاعة وأخبر أن القوم لا يقبلون بهذه الشروط الثقيلة ، وأنهم عازمون على الدفاع حتى الموت . وبعد ذهاب وجيئة استطاع مجاعة أن يستميل الحزب المخالف إلى جانبه من جهة ويخفف من شدة الشروط من جهة أخرى

يتبع

طه الهاشمى

الى مؤتمر الفردوسى

٢ — بين القاهرة وطوس

من قصر شيرين الى همذان

للدكتور عبد الوهاب عزام

سرنا من قصر شيرين تلقاء كرما نشاهان ، فمررنا بعد خمسين دقيقة بقرية ذهاب ، ثم أصعدنا فى جبل شامخ فسيح ، فلبثنا بين قممه ووهاده نصف ساعة . وذلكم « كوه باطاق » أى الجبل ذو الطاق . سُمّى بطاق قديم قائم فى منتصف هذه الطريق الجبلية « ثم انبسط بنا السهل نصف ساعة الى قرية كِرِند ، وهى قرية خضراء مشجرة ، وبعد أربعين دقيقة وقفنا فى شاه آباد ، وهى قرية ذات بساتين فيها ضِياع لجلالة الشاه ، وباسمه سميت » ولهما دار صغيرة نزلنا بها ، فاسترحنا قليلاً وشربنا الشاى، وأكلنا فاكهة طيبة ، فيها عنب صغير جيد ، وكان ذلك أول ما طعمنا من فاكهة ايران

ثم استمر بنا المسير فاجتزنا جبالاً أخرى الى كرمانشاهان بعد ساعة وثلث من شاه آباد

وكرمانشاهان (قريسين) مدينة عامرة فيها شوارع جديدة واسعة ، وأسواق كبيرة . وموقعها على درجة ٣٤ من العرض ، و٤٧ من الطول ، فى بقعة طيبة الهواء يسقيها نهر قره صو . وهى على الجادة الكبرى من بغداد الى همذان ، تبعد عن كل منهما خمسا وستين ومائة كيلو . أنشأها الملوك الساسانيون ، وكانوا يقيمون بها أحياناً . ونزلها فى العصر الاسلامى الخليفة هارون الرشيد ، وعضد الدولة البويهى ، ولم تبلغ مكانة عظيمة الا فى القرن العاشر حين اتخذها الملوك الصفويون قاعدة لمحاربة الدولة العثمانية

والمدينة فى وسط ولاية كرمانشاه . وهى الأرض التى قامت عليها الدولة الميدية القديمة ، وفيها من المدن والقرى قصر شيرين وكرند وأسد آباد وكنكاور أو كنكِوَر (وكانت تسمى فى العصور الاسلامية الأولى قصر اللصوص) وبيستون ونهاوند وخرائب الدينور . وبها آثار عن الأكمينين والساسانيين . وهى من أغنى ولايات ايران

نزلنا من المدينة فى دار أحد كبرائها — معتمد الدولة . وهى دار جميلة ذات حديقة كبيرة . فيها بناء على يسار الداخل استرحنا به وغسلنا عن وجوهنا غبار الطريق . ثم سرنا فى الحديقة فى مستوى به حوض كبير فصعدنا درجات كثيرة الى مستوى آخر فيه حوض يسيل الماء منه الى المستوى الأسفل مترقرقاً على درجات السلّم فيملأ العين رواء . وعلى المستوى العالى بناء آخر صعدنا اليه درجات ، فاجتمعنا للغداء وخصّ معتمد الدولة مرحباً بنا ، وأجابه أستاذنا سير دِنسن رُس . ثم أخذت صورتنا على الدرجات التى بين المستويين (وقد نشرت هذه الصورة فى جريدة البلاغ) . وانتقلنا من بعد الى دار أخرى فى أقصى المدينة لأحد الأعيان — أمير الكل ، وهى دار واسعة بها حديقة جميلة ، فيها أحواض ونافورات كثيرة ، فتقسمنا حجرتها للمبيت . وهاتان الداران تشهدان بما لأهل ايران من كلف بالحدائق والمياه ، وبراعة فى تنسيقها

وخرجنا فى المساء لنرى آثار « طاق بستان » على أربعة كيلات (١) من المدينة فى لحف جبل شاهق مشرف على الجادة . وهو طاق من آثار الساسانيين يقابل داخله تمثال فارسى منحوت فى الصخر ، وهو فيما يظن تمثال كسرى برويز على فرسه شبديز ، وبجانبه تمثال شيرين زوجه ، وعلى جانبى الطاق نقش كثير يمثل الصيد فى اليبس والماء وغير ذلك . وفى أعلى الجانب الأيسر صورة فتحعلى شاه وجماعة من رجاله منحوتة فى الحجر . أراد ذلك الملك أن يزاحم كسرى برويز فى داره والجبل فسيح ، وأرض الله واسعة . وشبديز ومعناه (هادى الليل) فرس لكسرى برويز مشهور فى قصص الفرس وشعرهم ، وفى الشعر العربى أيضا . ومما يقص عنه مارواه ياقوت فى المعجم : « وكان سبب صورته فى هذه القرية أنه كان أذكى الدواب ، وأعظمها خِلقة ، وأظهرها خُلقا ، وأصبرها على طول الركض . وكان ملك الهند أهداه الى الملك ابرويز . فكان لايبول ولا يروث مادام عليه سرجه ولجامه ؛ ولا ينحز ولا يزبد ، وكانت استدارة حافره ستة أشبار . فاتفق أن شبديز اشتكى وزادت شكواه ، وعرف ابرويز ذلك ، وقال لئن أخبرنى أحد بموته لأقتلنه . فلما مات شبديز خاف صاحب خيله أن يسأله عنه فلا يجد بدا من إخباره بموته فيقتله ؛ فجاء الى البلهبذ مغنّيه ، ولم يكن فيما تقدم من الأزمان ولا ما تأخر أحذق منه بالضرب بالعود ، والغناء — قالوا كان لأبرويز ثلاث خصائص لم تكن لأحد من قبله : فرسه شبديز ، وسريّته شيرين ، ومغنيه بلهبذ — وقال : اعلم أن شبديز قد نفق ومات ، وقد عرفت ما أوعد به الملك من أخبر بموته . فاحتل لى حيلة ولك كذا وكذا ؛ فوعده

(١) ينبغى أن يعرب كيلو بحذف الواو فيقال كيل وكيلات

الحيلة . فلما حضر بين يدى الملك غنّاه غناء ورّى فيه عن القصة ، الى أن فطن الملك وقال له : ويحك مات شبديز ، فقال : الملك يقوله ، فقال له : «زه» ما أحسن ما تخلصت وخلصت غيرك ! وجزع عليه جزعاً عظيماً ، فأمر تنطوس بن سنمار بتصويره ، فصوره على أحسن وأتم تمثال ، حتى لا يكاد يفرق بينهما إلا بادارة الروح فى جسدها . وجاء الملك فرآه فاستعبر باكياً عند تأمله اياه الخ »

— ومما رواه ياقوت عن الهمذانى ، أن بعض فقهاء المعتزلة قال : لو أن رجلاً خرج من فرغانة القصوى ، وآخر من سوس الأبعد قاصدين النظر الى صورة شبديز ما عنفا على ذلك —

وأما أنا فلم أر التمثال من الأتقان والاحكام على النحو الذى وصفوا . ولا ريب أن الزمان قد ذهب بروائه ، وقد كسر رأس الفرس وبقى سائره

وقد نظم خالد الفياض قصة شبديز التى تقدمت . ومما قيل فى شبديز من الشعر قول أبى عمران الكردى :

وهم نقروا شبديز فى الصخر عبرة ... وراكبه برويز كالبدر طالع
عليه بهاء الملك والوفد عكّف ... يخال به فجر من الأفق ساطع
تلاحظه شيرين واللحظ فاتن ... وتعطو بكف حسّنتها الأشاجع
يدوم على كرّ الجديدين شخصه ... ويُلفى قويم الجسم واللون ناصع

وعلى الجبل الى يسار الطاق صور أخرى ساسانية ، منها صورة تمثل أردشير بن بابك مقيمَ الدولة الساسانية ، وقد داس عدوه أردوان ، وصورة أخرى تمثل الملك سابور ، وأمامه أسيره الامبراطور فلريان جاثياً .

برحنا كرمانشاهان صباح الثلاثاء ، فنزلنا عند طاق بستان مرة أخرى لنعيد النظر الى برويز وشبديز وما هنالك من الصور ، ثم استأنفنا السير والساعة ثمان ونصف ، فوقفنا بعد نصف ساعة على آثار الملك دارا فى جبل بيستون . وهو جبل شاهق يكاد يعيا الطرف دون قمته . وقد سويت فيه على ارتفاع عظيم صفحة صور فيها الملك دارا وأمامه وفود الأمم المغلوبة . وتحت الصورة نقوش كثيرة بالفارسية القديمة ، والأشورية . وكانت هذه النقوش مفتاح اللغة الفارسية القديمة كما كان حجر رشيد مفتاح اللغة المصرية . وعلى مقربة من هذه الآثار موضع فى الجبل منحوت يظن أنه أريد تسويته للنقش عليه ثم عدل عنه . ولكن الروايات الفارسية تقص فى ذلك قصة عجيبة عن فرهاد عاشق شيرين الذى ذكرته آنفاً . وسأعود الى هذه القصة حين الكلام عن مرورنا بجبل بيستون ليلاً ونحن قافلون من طهران

يتبع

عبد الوهاب عزام

٤ـ محاورات أفلاطون

معذرة سقراط

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

قد يعجب بعضكم لماذا أطوف بالناس آحاداً ، فأسدي إليهم النصح وأشتغل بأمورهم ، ولا أجرؤ أن أتقدم بالنصح إلى الدولة بصفة عامة ؟ وإليكم سبب هذا : كثيراً ما سمعتموني أتحدث عن راعية أو وحي يأتيني ، وهي معبودتي التي يهزأ بها مليتس في دعواه ، ولقد لازمني ذلك الوحي منذ طفولتي ، وهو عبارة عن صوت يطوف بي فينهاني عن أداء ما أكون قد اعتزمت أداءه ، ولكنه لا يأمرني بعمل إيجابي ، فذلك ما حال دون اشتغالي بالسياسة ، وإخال ذلك آمن الطرق ، فلست أشك أيها الأثينيون — في أني لو كنت ساهمت في السياسة للاقيت منيتي منذ أمد بعيد . ولما قدمت خيراً لكم أو لنفسي ، وأرجو ألا يؤلمكم الحق إن أنبأتكم به ، فالحق أنه يستحيل على من يرافقكم الى الحرب أو أي اجتماع آخر ويقاوم فساد الأخلاق وأخطاء الدولة أن ينجو بحياته . فان من يحارب مخلصاً في سبيل الحق لن يمتد به الأجل الى حين ، الا إن كان مشتغلاً بالأعمال الخاصة دون العامة ، وإن أردتم لذلك برهاناً لما سقت اليكم كلاماً فحسب ، بل لذكرت لكم حوادث بعينها ، وهي أقوى حجة من الألفاظ ، فاسمحوا لي أن أقص عليكم طرفاً من حياتي الخاصة ، ينهض دليلاً على أنني لم أخضع قط لظلم خشية الموت ، حتى لو وثقت بأن العصيان سيعقب من فوره موتاً محققاً . سأقص عليكم قصة قد تشوقكم أو لا تشوقكم ، ولكنها مع ذلك حق . إنني لم أشغل منصباً إلا مرة عضواً في مجلس الدولة ، وكانت رياسة المجلس عند محاكمة القواد الذين لم ينقذوا جثث القتلى بعد موقعة أرجنيس ، لقبيلة أنتيوخس — وهي قبيلتي — فرأيتم أن تحاكموهم جميعاً ، وكان ذلك منافياً للقانون كما أدركتم ذلك جميعاً فيما بعد ، ولكنني كنت إذ ذاك وحدي بين أهل بريتان أعارض الافتئات على القانون ، وأعلنت رأيي مخالفاً لكم . ولما تهددني الخطباء بالحبس والطرد ، وصحتم جميعاً في وجهي ، آثرت أن أتعرض للخطر مدافعاً عن القانون والعدل على أن أساهم في الظلم خشية السجن أو الموت ؛ حدث ذلك في عهد الديمقراطية ، فلما تولى زمام الأمر الطغاة الثلاثون ، أرسلوا إليّ وإلى أربعة معي ، وكنا تحت السقيفة ، فأمرونا أن نسوق إليهم ليون السَّلامي من بلدة سلامس لينزلوا به الموت — وذلك مَثَلٌ لأوامرهم التي اعتادوا أن يلقوها لكي يشركوا معهم في جرائمهم أكبر عدد ممكن من الناس ، فبرهنت لهم قولاً وعملاً ، أني لا أعبأ بالموت ، وأنه لا يزن عندي قشة ، إن صح هذا التعبير ، وأن كل ما أخشاه هو أن أسلك سلوكاً معوجاً شائناً ، فلم أرهب طغيان تلك العصبة الظالمة ، ولم تضطرني إلى ركوب الخطأ . فلما أخرجنا من السقيفة حيث كنا ، ذهب الأربعة الآخرون إلى سلامس في طلب ليون ، أما أنا فقد أخذت سمتي نحو الدار في هدوء صامت ، وكنت أتوقع أن أفقد حياتي لقاء ذلك العصيان ، لولا أن دالت دولة الثلاثين بعد ذلك بقليل ، وما أكثر من يشهدون بصدق ما أقول

وهل تظنون أن قد كان يمتد بي الأجل إلى هذه السن ، لو قد ضربت في الحياة العامة بنصيب ، على فرض أني — كما ينبغي للرجل الصالح — لزمت جانب الحق ، وأحللت العدالة من نفسي ما هي جديرة به من مكان رفيع ؟ كلا ثم كلا ! فلو قد عولت ، أو عول كائن من كان ، على ذلك ، لما أتيح لي — بني أثينا ! — البقاء ، ولكنني لم أحد فيما فعلت — عاما كان أم خاصا — عما رسمت لنفسي من جادّة ، فلم أنغمس فيما انغمس فيه هؤلاء الذين أشيع بين الناس أنهم تلاميذي ، أو من عداهم ، فلم يكن لي في حقيقة الأمر تلاميذ دائمون ، إذ أبحت الحضور لكل من أراد حضوراً واستماعاً ؛ إني كنت مؤدياً رسالتي ، لا فرق عندي بين شيخ وشاب ، لم أتخذ شرطاً ، ولم ألتمس أجراً ، فكان الحوار مشاعاً لمن أنقد ومن لم يُنقد ، فلمن شاء أن يوجه إلى سؤالاً ، أو يجيب لي عن سؤال ، أو يصغي الى ما أقول من حديث ، أما أن ينقلب أحد أولئك بعد ذلك خيّراً أو شريراً ، فليس عدلاً أن أحمل تهمته ، لأنني لم أعلمه شيئاً . وإن زعم امرؤ أني ربما علمته أو أسمعته شيئاً في خلوة خاصة خفيت على الناس جميعاً ، فاعلموا أنه إنما يزعم لكم باطلاً

فاذا سئلت : لماذا يصادف الناس من حوارك المتصل لذة ومتاعاً ؟ أجبت أيها الأثينيون بالحقيقة التي أنبأتكم بها ، وهي

أنهم يستمتعون بشهادة أدعياء الحكمة فى امتحانهم ، فلهم فى ذلك لذة ، وذلك واجب أمرنى به الله ، كما علمت يقيناً من الرسل والرؤى ، وكل طريقة أخرى يمكن لأرادة القوة الآلهية أن تفصح بها عن نفسها لكائن من كان . أيها الأثينيون ! ذلك حق ، فان كان افتراء فما أهون أن تكذبوه ، ولو كنت أفسد الشبان حقاً ، وكنت قد أفسدت بعضهم فعلاً ، لوجب أن يتصدى منهم للانتقام أولئك الذين تقدمت بهم السن ، فأدركوا ما نفثت لهم فى نصحى من سوء أيام الشباب ، فان لم يفعلوا ذلك بأنفسهم ، وجب أن ينهض ذوو قرباهم أو آباؤهم أو إخوتهم ، أو من إلى هؤلاء ، فيقتضيني ما أنزلت بأبنائهم من سوء ، ها قد حان حينهم ، وإنى لأرى منهم فى المحكمة كثيراً ، ها هو ذا كريتون وهو يعدلني سناً ، وهأنذا أرى ابنه كريتوبوليس ، وذاك ليسانياس السفيطى أبو أشينس ألمحه بين الحضور ، وذاك أنتيفون السفيسى أبو أبجينوس ، وهؤلاء أخوة كثير ممن التفوا حولى ، فهناك نيكوستراتوس ابن تيوسدوتيد وأخو تيودوتس (وقد اختار الله تيودوتس الى جواره ، فهو على أية حال لن يستطيع لى معارضة) وذلك بارالوس بن ديمودوكس ، وقد كان له أخ يدعى تياجس ، وأديمانتوس بن أرستون الذى أرى أخاه افلاطون بين الحاضرين ، وكذلك أرى بينكم آنتودورس وهو أخو أبولودورس . ويمكنني أن أذكر غير هؤلاء كثيرين ممن كان لزاماً على مليتس أن يقدم منهم للشهادة من يشاء فى سياق دعواه ، ومع ذلك فادعوه الآن يستشهدهم إن كان قد فاته ذلك أولاً ، وسأفسح له الطريق . سلوه هل بين هؤلاء من يشهد له فيقدمه ؟ كلا أيها الأثينيون ، فنقيض ذلك هو الصحيح ، اذ هؤلاء لا يأبون أن يؤيدوا بالقول ذلك المتلاف الذى أفسد ذويهم — كما يسميني مليتس ، وأنيتس ، إنى لا أستشهد الشبان الذين أفسدتهم فحسب ، فقد يكون عند هؤلاء ما يحيد بهم عن الحق ، ولكني أستشهد ذويهم ، وهم بعيدون عن إفسادى ، ويكبرون أولئك سناً ، فلماذا يظاهروننى بشهادتهم ، إلا أن يكون ذلك تأييداً للحق والعدل ؟ فهم يعلمون أنى أقول الصدق ، أما مليتس فمفتر كذاب

أيها الأثينيون ! هذا وما اليه هو كل دفاعى الذى وددت أن ألقيه ، ولكني أرجو أن أضيف اليه كلمة أخرى : قد يكون بينكم من يصب على نقمته إذا ما ذكرت كيف استجدى الشفاعة والرحمة بعينين باكيتين فى مثل هذا الموقف أو ما هو دونه خطراً ، وكيف ساق أبناءه الى المحكمة فى جمع من أصدقائه وأقربائه لعله يحرك بذلك الرحمة فى النفوس ، ثم ينظر فلا يرانى أهم بمثل ذلك ، على ما يتهدد حياتى من الخطر ؛ قد يطوف بذهنه هذا فيقف مني موقف العداوة ، ثم يصوت وهو فى سورة من الغضب لأن موقفى لا يرضيه ، فان كان ذلك الرجل بينكم ، ولا أحسبه كذلك ، فاليه أسوق الحديث رفيقاً : أى صديقى ! إننى رجل ككل الناس خلقت من لحم ودم لا من خشب وحجارة ، كما يقول هومر ، ولى أسرة ولى أبناء ، عدادهم — أيها الأثينيون — ثلاثة ، بلغ أحدهم الصبا وما يزال الآخران طفلين ، ومع ذلك فلن أسوق اليكم منهم أحداً يستجديكم براءتى . ولم لا ؟ لست أصدر فى ذلك عن اعتداد بنفسى أو ازدراء لكم ، وسواء خشيت الموت أم لم أخشه فذلك شأن آخر لن أتحدث عنه الآن ، وإنما دفعني الى ذلك عقيدة أن ذلك تصرف يضع من قدرى ويحط من شأنكم ويصم الدولة بأسرها وصمة العار ، فلا يجوز لرجل قضى من العمر ما قضيت ، وذاع صوته فى الحكمة بحق أو بغير حق ، أن يحقر من نفسه . فمهما يكن من أمر ، فقد استقر رأى الناس أجمعين على أن سقراط يفضل من عداه فى إحدى نواحيه ، فان كان أولئك الذين يقال عنهم إنهم يفضلوننى حكمة وشجاعة وما شئت من فضيلة ، يمتهنون أنفسهم بمثل ذلك السلوك ، فوا خجلتاه مما يفعلون ! فقد شهدت ناساً من ذوى الصوت الذائع يفعلون ساعة الحكم عليهم عجباً عجاباً فبدوا كأنما خيل اليهم أنهم ذاهبون ، اذا قضيتم عليهم بالموت ، الى حيث الرعب والجزع ، كأنهم حسبوا أن لو خليتم بينهم وبين الحياة السبيل فسيكونون من الخالدين ، إنما هؤلاء فى حسابى وصمة عار فى جبين الدولة ، ولو أبصرهم وافد غريب لانقلب الى أهله يروى عن أثينا أن أعلام رجالها الذين يرفعهم الأثينيون فوق الهام ويسلمونهم زمام الأمر ، لا يفضلون الناس فى شىء ، ولا يجوز فى اعتبارى أن يكون ذلك من هؤلاء الذين بلغوا بيننا شأوا عظيماً ، فان وقع فلا تدعوه حادثاً يمضى ، ولا تأخذنكم بهم هوادة وخذوا بالشدة كل من يقف منكم هذا الموقف المتوجع ، لأنه بذلك يعرض المدينة للسخرية ، ولا كذلك الصابر الوديع

ودعوكم من العار ، فيلوح لى أن فى استرحام القاضى واستجدائه العفو فى مكان اقناعه وإنبائه بالنبأ الصحيح خطلاً ، فليس واجب القاضى أن يمنح العدالة منحاً ، بل عليه أن يحكم حكماً عادلاً ، وقد أقسم أن يحكم وفق القانون ، دون أن يميل مع الهوى ، ولا يجوز له ولا لنا أن نتعود الحلف باطلاً ، فلا أحسب فى ذلك شيئاً من الورع والتقوى . فلا تريدونى إذن على أن أفعل ما أعده فجوراً وشيناً وخطلاً ، ولا سيما وأنتم تحاكموننى فيما ادعاه مليتس عني من فجور ، فلو استطعت أيها الأثينيون أن أحيد بكم بالأغراء والرجاء عن قسمكم لكنت بذلك معلمكم الكفر بالآلهة ، ولانقلب دفاعى على اتهاماً بالزيغ عن الايمان ، ولكن الواقع غير هذا ، فعقيدتى فى الآلهة قائمة على شعور أسمى جداً مما تقوم عليه عقيـــدة أى من المدعين . فأنا أضع قضيتى أمامكم وأمام الله لتحكموا فيها بما هو خير لى ولكم

***

وهنا حكم على سقراط بالموت

أيها الأثينيون ! لقد قضيتم بادانتى ، فلم يثر شجنى هذا القضاء ، وعندى لذلك أسباب كثيرة ، فقد كنت أتوقع ذاك ؛ ولشد ما أدهشنى أن كادت تتعادل الأصوات ، فقد ظننت أن فريق الأعداء لابد أن يكون أوفر من ذلك عدداً ، واذا بكفة البراءة لو زاد مؤيدوها ثلاثين صوتاً لرجحت ، أفلم أظفر بهذا على مليتس ؟ بل إنى لأذهب الى أبعد من الظفر فأزعم أنه لولا أن ظاهره أنيتس وليقون لما ظفر بخمس الأصوات الذى يحتمه القانون ، ولاضطر تبعاً لذلك الى دفع غرامة قدرها ألف دراخمة ، كما ترون

ولذلك يقترح أن يكون الموت جزائى ، فماذا أقترح بدورى أيها الأثينيون ؟ (١) بالطبع ما أرانى جديراً به . فماذا ينبغى أن أبذل من غرم أو أنال من غنم ؟ ماذا أنتم صانعون برجل لم يوفقه الله أبداً ليصطنع البلادة طوال أيام حياته ، وأهمل ما عنيت به كثرة الناس — أعنى الثروة ومصالح الأسرة والمناصب الحربية ، ولم يقل فى جمعية الشعب قولاً ولم يشترك فى مجالس الحكام ، ولم يساهم فى الدسائس والأحزاب بنصيب ؟ كلما فكرت أنى كنت رجلاً بلغ من الشرف حداً بعيداً فسلكت من سبل الحيـاة ما سلكت ، لم أقصد الى حيث لا أستطيع أن أعمل خيراً لكم ولنفسى ، بل التمست طريقاً أمكنتني أن أقدم لكل منكم على حدته خيراً عظيماً ، وحاولت أن أحمل كل رجل بينكم على وجوب النظر الى نفسه لينشد الفضيلة والحكمة قبل أن ينظر الى مصالحه الخاصة ، وأن يضع الدولة فى اعتباره فوق مصالحها ، فيكون ذلك دستوراً لأعماله جميعاً . ماذا أنتم صانعون بمثل هـذا الرجل أيها الأثينيون ؟ لا إخا لكم إلا مجازيه خيراً إن كان لابد من الجزاء ، ويجدر باحسانكم أن يجىء ملائماً لحالته ، فماذا يحسن برجل فقير أحسن اليكم الصنيع ، ورغب فى الفراغ ليتمكن من تعليمكم ، سوى أن يظل أبداً فى مجلس الدولة ؛ وانه أيها الأثينيون لأجدر بهذا الجزاء ممن كوفىء فى أولمبيا فى سباق الخيل أو سباق العجلات ، سواء أكان يشد عجلته جوادان أو أكثر ، لأننى فقير محتاج ، وذاك غني عنده مايسد منه العوز ، على أنه لا يعطيكم الاسعادة ظاهرية ، أما أنا فأدلكم على الحقيقة . فاذا كان لى أن أقدر لنفسى عقوبة عادلة ما قلت بغير البقاء فى مجلس الدولة جزاء أوفى

يتبع

زكى نجيب محمود

(١) كان من عادة الاثينيين أن يقترح المدعى حكماً ، والمدعى عليه حكماً آخر ثم ترى المحكمة بعد ذلك رأيها

من شعر الشباب

مصر

بقلم فريد عين شوكه

مصر يا آيةَ الخلو د ويا غرّةَ الزمن
حبذا أنت فى الوجو دِ إذا اعتزّ من وطن
أشرق المجد والسنا
منه والكون فى الظلَمْ

نيلك العذب كوثرُ جنة الخلد ساحلُهْ
كلما جاء يخطرُ وتهادت جداوله
هلّل القطر بالمُنَى
وشدا الطير بالنغم

وصحا التُّربُ باسماً فى تهاويله الوضاءْ
وسرى الريح ناظماً فيكِ أنشودة الرخاء
وهفَا الزرع وانثَنَى
لكِ يا كعبة الأمم

مصرُ، كم عقّك البنو نَ وهم معقد الرجاءْ
وعصوا قلبك الحنو نَ إذا ضجّ بالنداء
ولكم صِحتِ من ضَنَا
كِ وهم عنك فى صمم

بل لقد كان منهمُ من بَغى غير محتشم
وقضى الحكم يهدمُ فيك ما شِيدَ من نظمْ
ورآى الجُرْم هيّناً
فيك يا مصر فاجترم

أيها النيل لاجرى عذبك السائغ النميرْ
إنما نحن فى الورى ميّتو العزم والضمير
فارْوِ يا نيل غيرنا
من أُولى البأس والهمم

ضاق واديكَ بالعذابْ من بنيكَ الأصاغرِ
الألى أغرَوا الذئاب بالشياهِ الضوامرِ
فنزا الذئب بيننا
نزوة الفاتك النَّهِم

وإذا الشعبُ كلُّهُ يَغتدِى طوعَ فاجرِ
إن رآى يستذِلُّهُ لم يخَفْ زجر زاجرِ
بل رآنا كأننا
فيك لحمٌ على وَضَمْ

لعنةُ الله والوطن لك يا عهداً انقشعْ
كم دهى مصر بالمحن ورمى النيل بالفزعْ
وسَرَى فى ربوعنا
يَنفثُ السمَّ فى الدَّسَمْ

كان حُمّى تعاورَتْ مصر فى الأربع السنين
وأهاويل ساوَرَتْ قلبها الموجَع الحزين.
وتَفَشّتْ نفوسَنا
كاللظَى تبعث الحمَمْ

كان فى مصر راجفهْ زلزلت ركنها المشيد
وأعاصير عاصفهْ مزّقت شملها النضيد
وكتاباً تضمنا
سُبّةَ النيل والهرم

سطّرى مصرُ سطّرى كيف يعثو بك البنون
أنتِ لو لم تقصّرى فى أذى الآثِمِ الخئون
ما رأى النيل خائناً
فيك يطغى ويجترم

الحق

للمرحوم أبى القاسم الشابى التونسى

ألا أيها الظالم المصعّر خدّه : رويدك إنّ الدهر يبنى ويهدمُ
أغرّك أنّ الشعب مغضٍ على قذًى ؟
لك الويل مِن يوم به الشرّ قشعمُ
ألا إنّ أحلام البلاد دفينةٌ تجمجم فى أعماقها ما تجمجم
ولكن سيأتى بعد لأْىٍ نشورها وينبثق اليوم الذى يترنّمُ
هو الحق يبقى ساكناً فإذا طغى بأعماقه السخط العصوف يدمدم
وينحطُّ كالصخر الأصمّ إذا هوى على هام أصنام العتوّ فيحطم

* * *

إذا صعق الجبار تحت قيوده سيعلم أوجاع الحياة ويفهم

فى الروض المحزون

بقلم أمجد الطرابلسى

يا روضُ ما لشبابكَ النضرِ ... جارتْ عليه فواجعُ القدرِ؟
أفأنتَ مثلى تشتكى – حدَثاً – ... عبءَ السنين وعاديَ الكِبَرِ؟
ماذا جنيْتَ وكنتَ مزدهراً ... حتى رُميتَ بأفدحِ الغِيَرِ؟
أينَ القيانُ الصادحاتُ على ... عُرُشٍ مكرّمةٍ من الزهرِ؟
يبكينَ إن نزلَ الدجى – فرَقاً – ... منهُ – وأسبلَ حالكَ السُّتُرِ
ويكدْنَ يملأنَ الفضا فرَحاً ... إن أزمعَ الترحالَ فى السحَرِ
بل أينَ، كالأمسِ الهنيِّ، مهاً ... يمرحْنَ فى الآصالِ والبُكَرِ؟
أو لمْ تكنْ بالأمسِ تمطرُنى ... إمّا أتيتكَ أطيبَ الثمرِ؟
واليومَ كلُّ نداكَ من ورَقٍ ... ذاوٍ معَ الأرياحِ منتثرِ!!

***

ياروضُ لا يأخذْكَ بى عجَبٌ ... إن جئتُ تحتَ الريحِ والمطرِ
أشكو إليكَ هواجساً حُلُكاً ... كالليلِ قد غشّتْ على بصرى
الآنَ طابَ لىَ المقامُ هُنا ... يا روضُ تحت ثواكلِ الشجرِ
يُلقينَ بالأوراقِ ذابلةً ... مثلَ المُنى فى هبّةِ القدرِ
ما حاجتى بالروضِ مزدهراً ... إنْ كانَ قلبىَ غيرَ مزدهرِ!؟
فى خافقى يا روضُ عاصفةٌ ... غضْبى تهيجُ كوامنَ الفِكَرِ
نارٌ توقّدُ فىَّ لاهبةٌ ... ترمى حنايا الصدرِ بالشرَرِ
وخواطرٌ سودٌ تدفّقُ فى ... عقلى الشتيتِ تدفّقَ النهرِ
حتى كأنى جذوةٌ شرَدتْ ... مِنْ قبلِ يومِ الحشرِ عن سقَرِ
فلعلَّ إحدى السحْبِ تطفئُها ... يوماً بغيثٍ جدِّ منهمرِ

***

إمّا تجدْنى هازلاً أبدًا ... أجزى حقودَ الدهرِ بالسخَرِ
وأسيرُ فى دنيايَ متئدًا ... بينا المنونُ تجدُّ فى أثرى
لا الدهرُ تنسينى غوائلُهُ ... يوماً معانى الأنسِ والسحَرِ
فلَرُبّما ابتسمَ الفتى وبهِ ... ألمٌ يفتّتُ أصلدَ الصخَرِ
ولَرُبَّ عهدٍ كانَ أعذبُهُ ... لوْ كانَ يعذُبُ غايةَ المقِرِ (١)
ولَرُبَّ ليلاتٍ لبثْتُ بها ... سهرانَ أرقُبُ طلعةَ القمرِ
أشكو لهُ همّاً يساورُنى ... وأبثُّ بعضَ مظالمِ البشرِ
تلكَ الطفولةُ ما عرفْتُ بها ... إلاّ الدموعَ وأكؤسَ الصبِرِ

***

يا ليتَ شعرىَ والحياةُ أسىً ... ما جاءَ بى للعالَمِ النُّكُرِ
أأتيتُ أقطعُ رحلتى عبثاً ... أم جئتُ للأحزانِ والضجَرِ
أنا فى زمانٍ قد تنكّرَ لى ... مُنذُ الولادِ بأبشعِ الصُّوَرِ
فعلامَ أجزَعُ من نوائبِهِ ... وأخافُ مِنْ أحداثِهِ الكُثُرِ
يا موتُ جِىءْ أو لا تجىءْ أبداً ... سيّانِ طالَ أو انطوى عمُرى
أنا حائرٌ ما عشْتُ فى زمَنى ... ومتى رسولُكَ يدْعُنى أطِرِ

. . . .

أترى وراءكَ يا ردى قبَسٌ ... أمْ ليْسَ إلاّ ظُلْمةُ الحُفَرِ؟

(دمشق) — أمجد الطرابلسى

أصداء البيئة

شـيطانى

بقلم عبد اللطيف النشار

شيطانى لا تبحث عنى ... لن تظفر بى يا شيطانى
الوحدة من دأب الجن ... والوحشة دأب الانسان
الجمع الحاشد لى مأوى ... والعزلة مأوى للجان
ضحك الشيطان وأضحكنى ... من فلسفتى للشيطان
شيطانى لا تهرب منى ... وتعال أبثك أشجانى
لن أملأ شعرى بالشكوى ... فلديك دخائل وجدانى
قال الشيطان أأنسىٌّ ... ينجو من شر الانسان ؟
فأبت نفسى شكوى جنسى ... ومشيت أردد ألحانى
شيطانى لا تبحث عنى ... لن تظفر بى يا شيطانى

الاسكندرية — عبد اللطيف النشار

---

(١) المقر — الصبر

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

٢ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

للأستاذ خليل هنداوى

نقد العقل الخالص La critique de le raison pure

ليست غاية هذا النقد إحباط نتائج العلم النظرى ، ولكن غايته أن يسيّره فى مناهجه الواضحة ، فالعلم النظرى الذى كان فى عهد ما ملك العلوم قد فقد تأثيره ، لأنه قد آلى على نفسه أن يتوجه لمباحث تكاد لا تغنى شيئاً ، يريد من ورائها التحقيق ، وهى – كل يوم – ينقضها من عالم الواقع ألف برهان وبرهان ، ثم انتهى « كانت » الى الشكوكية ، ثم الحيادية التى يقول عنها : « هذه التى تظهر عند تفتح العلوم ، وتعمل على إظهار العلم الذى كانت ولادته ؛ أليست هذه الحيادية من الأشياء التى تسترعى انتباهنا ؟ إنها والحق ليست بوليدة الخفة ، ولكنها وليدة محاكمة عصر طويل ، شاء ألاّ ينخدع بظواهر المعرفة كثيراً ، إنها دعوة عنيفة تدعو عقلنا الى عمل عنيف ، الى معرفة نفسه ، وإنما هى تهذب مجلساً يذود عنها ويصون تعاليمها الصحيحة ، ويحكم عليها إذا ظلمت حسب شرائعها ونظمها الثابتة ، وما هذا المجلس إلا مجلس العقل الخالص

والعقل الخالص عند (كانت) هو العقل نفسه ، قبل أن يدخل الأمتحان فى تلافيفه شيئاً ، هو العقل المجرد قبل أن ينطبع فيه شيء ، وفيه ثلاث قوى نفسانية : الأولى قوة المعرفة التى تنطوى على الأدراك والحكم العقلى ، وترتيب الأحكام ، وهى تبحث عن أكناه الأشياء وحقائقها ، والبحث فيها يتعلق بنقد العقل الخالص . والثانية خاصة الارادة ، وهى تبحث عن الخير ، ومرجعها الى نقد العقل العملى . والثالثة هى الشعور بالسرور والشقاء ، وموضوعها الجميل ، ومرجعها الى نقد الحكم

ماذا أستطيع أن أعرف ؟ هذا هو السؤال الذى يضعه الفيلسوف أمام نفسه ، وهو يبتغى حله . إن كل معرفة تبدأ عن طريق الاحساس ؛ فى كل إحساس يجب أن نفرق بين مادتين : بين المادة التى تهدينا اليها حواسنا ، وبين الهيئة التى لا يختلقها العقل من الخارج ، ولكنه يجدها فى نفسها متعلقة بهذه المادة ؛ إن فى عقلنا إدراكات خالصة (pure) مُلْهمَة ، كالصور الأصلية المنطبعة فى أذهاننا ، ومن بين هذه الصور الداخلة فى كل امتحان دخولاً اضطرارياً صورتان ، وصفهما (كانت) بدقة ومهارة وحكمة . وهما : « معرفة المكان والزمن » فان هذا المقياس ليس له قياس ، أو كما يقول هو عنه ليس له حقيقة مدركة ، وعلمنا المبنى على مثله لن يكون نصيبه من الحقيقة أكبر منها ، إذ ليس للزمن والمكان حقيقة ذاتية ممكن إدراكها ، وما الزمن والمكان إلا مقاييس نسبية ا-دعناها لتساعدنا على إدراك الأشياء ، فهى كالمرآة التى تعكس لنا صورة العالم كما نراه نحن محدوداً بمقاييس الزمان والمكان لا كما بنى على حقيقته

وفى وجهة أخرى نرى علمنا كله ليس إلا مظاهر ، يضعف ويقوى بحسب الملاحظة ، ولا يكون قوياً الا بنا ، لأنه لا يملك شيئاً من الجزم والقوة بنفسه ، وليس يبعيد أن يكون وراء عالمنا هذا عوالم يدرك أصحابها معنى هذا الوجود ، بخلاف ما أدركته عقولنا ، ويحدونه بمقاييس تتباين عن مقاييسنا ، والحقيقة أننا فهمنا العالم كما نود أن نفهمه ، وأدركناه كما تستطيع مداركنا أن تدركه ، وهذه الحقيقة التى نسجنا نحن خيوطها ستظل محاطة بالروعة والجلال ، ولن تغير الطبيعة نظرتنا اليها حتى تغير أوضاع تفكيرنا وتبدلنا بها أوضاعاً أخرى

وهذه النظرة العميقة هى النقطة التى ترتكز عليها فلسفة كانت ، ومثله الأعلى الذى يفترضه مثلاً أسمى من المثل الشائعة ، فهو يجحد حقيقة العالم الخارجى ، ويرتفع بذاته عن المادية ، ويعتقد أن أدوات معرفتنا أداة للأدراك ، لا تقع تحت سلطان الحواس ، لأنها منعزلة عنها وأسمى منها . وبهذه الأداة نراه ينتقل الى عالم الله والروح والوجود ، ويؤسس على كل عالم منها فكرة ، ولكن حقيقة هذه العوالم برغم أنها شغلت العقل وتشغله وسوف تشغله لا تزال محجوبة عنا ، بل يجحد كانت أن تشبثنا بادراكها عن طريق التجربة لا يغنينا نفعاً ، بل يتركنا فريسة الخيالات والاعتراضات المتتالية

الله ، والروح ، والوجود : ثلاثة أكوان متعاقبة لا تبدو للعين حقيقتها

نقد العقل العملى La critique de la raison pratique

للشاعر هنرى هاين دعابة لطيفة ذكرها فى كتابه « ألمانيا » قال فى جملة بحثه عن كانت : « ولما وصل — أى كانت — إلى

هذه النقطة التفت وراءه فوجد خادمه الكهل (لامپ) يبكي، فقال كانت: إن لامب ليس له إله ... ولكن لابد له من إله يضمن سعادته في العالم» فكتب كانت إذ ذاك نقد العقل العملي، وما العقل العملي إلا نفس العقل النظري منتحياً للعمل، وهو يستمد أصوله من نفسه كالعقل النظري مجرداً من كل تجربة؛ نرى الشريعة التي يرتبها على نفسه تصير شريعة عامة، وليست هذه الشريعة محدودة بفكرة الخير والشر، وإنما هي فكرة محدودة بنفسها، تنبثق من ذاتها وتعود إلى ذاتها، فما تراه الأخلاق خيراً يكون خيراً وما تراه شراً يكون شراً، وهذه الشريعة تولد رأساً من الشعور لاتفتقر الى شيء من المنطق، ولا تحتاج الى نظرة من نظرات العقل، وإنما هي تفرض نفسها بنفسها إذا فرضت، كأنها صيغة أمر شامل مطلق، والشريعة الأخلاقية هي لغة الطبيعة السامية في الانسان، وقد يسمو الانسان بقدر ما تتجلى فيه هذه الشريعة على قدر ما توائم أعماله قواعدها

وهكذا جرب كانت أن يجمع كل ما تحتوي عليه الشريعة الأخلاقية في دستور واحد يضم إليه جميع ماركب الانسان من واجبات في المجتمع، وهذا هو الدستور أو الكلمة الجامعة التي يريدها الفيلسوف «اعمل دائماً عملك وأنت تتمنى أن الطريق الذي سلكته يصبح شريعة عامة» أليست هذه الكلمة هي صدى الكلمة القديمة القائلة «عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به» إن هذه الكلمة لاتحدد إلا علاقة الفرد مع الفرد، وكلمة (كانت) تضع الانسان الفرد إزاء المجتمع كله، فاذا قدر للخير أن يمتد سلطانه ويظهر أمره في الأرض فانما تظهره جهود الناس المتضافرة وسمو طبيعتهم العالية، وهكذا بنى (كانت) على هذه القواعد نظرية جديدة في عالم ماوراء الطبيعة ووجد مجالاً جديداً ليبحث عن الحرية والخلود ووجود الله بعد ماترك العلم النظري هذه العوالم كلها فراغاً يباباً. فاذا كانت الشريعة الأخلاقية فرضاً على الانسان وديناً لا مفر منه، واذا كانت هذه الشريعة واجباً مطلقاً عنده، فهي ذلك لأنه قادر على إتمامها، إذاً فالانسان حر، والحرية هي ابنة الشعور الطبيعي، والحرية هي ضالة العقل العملي. وقد لا نستطيع أن نثبت وجود الحرية نظرياً، ولكنها تستمد وجودها من وجود الشريعة الأخلاقية التي يتوقف فهمها على وجودها. وكذلك الأمر في بقاء الروح ووجود الله

العقل العملي يبعث فينا نشاطاً غريباً يدفعنا الى مثل الكمال. هذا المثل الذي يملك علينا سلطانه كل شيء هو سلطان الخير المطلق.

واذا كان الخير المطلق شرطه الأول هو الفضيلة فهو إذاً داع من دواعي السعادة، بل يوجب العقل أن تكون الفضيلة والسعادة من عنصر واحد

لنترك الخير المطلق، ولنعتبر الشريعة الأخلاقية وهماً أو خرافة، أفلا نؤمن بأن هنالك نظاماً شاملاً للأشياء مؤسساً على معنى السعادة والفضيلة، وأن هنالك في قلب الكون علة عاقلة تحكم وتسيطر وتربط بين الأجزاء وتؤلف وتفكك، وهذه العلة تحتم وجود الله؟

وهكذا نرى العقل العملي يقدر له الأثبات بغير برهان، والعقل النظري يعجزه أن يبرهن، ويتساءل (كانت) عن سر التنازع بين العقلين:

ولكن أليست الطبيعة التي ابتلت أحدهما بالعجز والوهن هي القاسية؟ ولكن لنفرض أن الطبيعة قد وافقتنا على أمانينا، ومنحتنا ما تمنيناه منها، ووهبتنا أنوار الهداية التي نهيم فيها، ولنفرض أن البعض مناقد ملك عليها، فماذا تكون النتيجة؟ أتدرونها؟ سيكون الإله بعظمته وروعته متمثلاً في أعيننا وفي أنفسنا، نطيع شريعته المرسومة طاعة عمياء لا نحيد عنها ولا نعتسف طريقها، ولكن أعمالنا هذه لايقودنا إليها الا عصا الرهبة تأتيها خالية من الفضيلة المبتغاة لذاتها، وهل يكون كل إنسان في كل ما يأتيه الا كالآلة الميكانيكية تأتي ما يطلب منها وتؤمر به غير واعية ولا شاعرة؟ إن كل شيء يمشي في السبيل القويم؛ ولكنك تتلمس باطلاً نسمة الحياة تلفح هذه الوجوه الشاحبة التي أكلها السأم ...

والآن، ونحن على هذه الحالة قد دلتنا الكائنات على عظمة المبدع ونزل فينا شرائعه الأخلاقية من غير أن تمنينا بالوعود أو تروعنا بالوعيد، وانفسح لكل واحد منا سبيله يبلغ به المثل الأعلى في الوجود

وفي النهاية يقول كانت إن النظام الالهي مؤسس على شريعة الأخلاق، فاذا وجد الله، واذا خلدت الروح فذلك لأنني أشعر بأني أحيا حراً، وأن حريتي بدون وجود الله وخلود الروح تغدو وهماً باطلاً. الاله الحقيقي — عند كانت — هو الحرية، وما إله الديانات الا وزيره الأول، وهو يحترم الدين بقدر ما يرعى للأخلاق والفضيلة عهودها وذممها، ويرى أن ممارسة الخير هي أسمى عمل يحبه الله

يتبع

خليل هنداوي

تاريخ الأدب الألمانى

بقلم ابراهيم ابراهيم يوسف

تمهيد :

عنى أبناء العروبة فى عشرات السنين الأخيرة بدراسة الآداب الغربية دراسة توحى الاطمئنان نوعا الى ما سوف يكون عليه الجيل المقبل من تنوع الثقافة . وكانت آداب الغرب فى نظر المتأدبين منا فى بادئ الأمر هى الآداب الفرنسية وحدها ، ثم انتهى بهم الأمر ، وذلك منذ ربع قرن أو نحوه ، الى الأخذ بدراسة الآداب الانكليزية أيضاً ، وبذلك اتسع نطاق معرفة الآداب الغربية بعض الشىء . ولكن برغم هذا فاننا ما زلنا فى مستهل الطريق . ولعل الخطوة الطبيعية التى تتلو ذلك ويتبعها المتأدبون فى الشرق الأدنى والأوسط ، لا تكون إلا دراسة الآداب الألمانية دراسة جامعة ، بعد أن أخذوا بقسط غير قليل من الآداب الفرنسية والانكليزية . . . نعم لقد ظهرت بوادر هذه الدراسة فى مصر منذ عشر سنين أو تزيد ، إلا أنها كانت دراسات موجزة لا تتفق وعظمة الآداب الألمانية ووفرة كنوزها وارتباطها بالآداب الغربية والشرقية على السواء ، ومن أجل ذلك كله حق لبعض من عكف على دراسة الحياة الأدبية فى مصر وبقية بلاد الشرق العربى أن يقول عنا بأننا أقل الشعوب المتمدنة إلماماً بالآداب الألمانية . . . والواقع أن هذه الظاهرة لا تلائم بغية المتأدبين ، إذ أول واجباتهم نحو الأدب بالذات أن يحيطوا علماً بالآداب العالمية ، وليس من ينكر بأن للألمان صرحاً فيها ما زال ، وسيبقى ، موضع فخر الأدباء فى كل صقع . . .

لهذا كله ونزولاً على إرادة بعض من أجلهم ، رأيت أن أكتب فى هذا الباب ، عسى أن أوفق الى إثارة الرغبة عند كرام القراء فى الاطلاع على الآداب الألمانية ، بقدر توفيقى الى استمالة الأدباء للاكثار من نقل غرر الآداب الألمانية

* * *

مقدمة :

لا تخلو الآداب الألمانية فى أطوارها التاريخية من صفات عامة مشتركة بينها وبين الآداب الأوربية الأخرى . نعم إن عصور ازدهار الآداب الألمانية وعصور سقوطها لا تسير مع العصور التى تماثلها فى آداب فرنسا أو انكلترا أو ايطاليا ، ولكن ليس معنى ذلك أن الآداب الألمانية فى تطورها لم تكن مرتبطة بالحركات الدينية والثقافية والاجتماعية التى غمرت القارة الأوربية . فقد كانت ألمانيا قبل دخول المسيحية اليها فى حالة أقل ما توصف به أنها حالة غامضة مبهمة . وكان الناس إذ ذاك يكادون ألا يعرفوا شيئاً غير الجمود والنسك ، شأنهم فى ذلك شأن بقية الناس فى البلاد الأوربية الأخرى . ثم تلا ذلك عصر آخر اضطر فيه فرسان الحروب الصليبية الى التقهقر أمام المدن الثائرة . وجاء عصر الاصلاح ممهداً لعصر النهضة . وكانت ألمانيا أسرع من جيرانها استجابة للحوادث الجسام التى كانت تنتاب أوربا من وقت الى آخر . واذا كان من المسلم به أنه لا يوجد أدب أوربى كان فى كل تطوراته مستقلاً تمام الاستقلال عن آداب جيرانه ، فانه مما لا شك فيه أن الآداب الألمانية مدينة بالشىء الكثير الى آداب الغير . لهذا كانت دراسة الآداب الألمانية هى ، الى حد بعيد ، دراسة ما يطلقون عليه اليوم اسم «الأدب المقارن» ، واذاً فمن المهم معرفة مركز الآداب الألمانية بالنسبة للآداب الأوربية ، وعلاقة هذه بتلك . وستؤدى بنا طبيعة هذا البحث الى التمييز بين الوطني من آداب الألمان والأممى منها . وكذلك سنقف على مدى تشعب كل من النزعتين فى تطور الآداب الألمانية وما ينتسب منها الى الوطنية ، وماله صلة بالتاريخ السياسى أو الاجتماعى

ولكل من مؤرخى الآداب الألمانية طريقه الخاص فى استعراضه لتاريخ هذه الآداب . وكذلك كانت نظرة كل منهم فى تقسيم تاريخه إلى مراحل . وموقفنا هنا يضطرنا الى الأخذ بالسهل منها ؛ ولذلك يمكننا القول بأن تاريخ الآداب الألمانية ينقسم الى ثلاثة أقسام بينة ، لثلاثة عصور مختلفة ، لكل عصر منها لغته وطابعه . فالقسم الأول يشمل العصر القديم للألمانية الرفيعة The old high German Period الذى يبدأ حوالى سنة ٧٥٠ ميلادية ، وينتهى حوالى سنة ١٠٥٠ . والقسم الثانى يشمل العصر الوسط لآداب الألمانية الرفيعة ، Middle High German Literature الذى يبدأ من سنة ١٠٥٠ وينتهى سنة ١٣٥٠ ميلادية . ثم العصر الأول

لجديد آداب الألمانية الرفيعة Early New Hfgh German Literarute الذي يبدأ من سنة ١٣٥٠ وينتهي سنة ١٧٠٠ ميلادية ، ثم تلي تطورات الآداب الألمانية في هذه المراحل الثلاث تطوراته الأخيرة في كل من القرون الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين

وسنعالج كل طور من هذه الأطوار التي مر بها الأدب الألماني في باب خاص ، جاعلين بغيتنا في ذلك إيضاح النزعات الفنية في الآداب الألمانية وأثر كل منها في تاريخه

***

العصر القديم للألمانية الرفيعة

الثقافة الألمانية الأولى

نجد في تطور كل أدب عهداً مرتبطاً بما اتفق على تسميته في التاريخ السياسي « بعصر ما قبل التاريخ » . وفي ذلك العصر لم تكن للشعوب ثقافة عامة ، كما لم يكن لها أدب مخطوط ، ولم يكن للألمان في ثمانية القرون الأولى المبتدئة من يوم مولد المسيح شيء ينم عنه تاريخهم السياسي من ثقافة عامة . كذلك لم يكن لهم أدب مخطوط يمت إلى الحوادث الواقعية حتى عهد كارل العظيم . والواقع أن التاريخ القديم للعشائر الجرمانية لا زال موضع جدل بين المحققين ، ولا يمكن الإجابة القطعية على سؤالك من أين جاءوا ، ومتى أتوا إلى الجهات التي استوطنوها ؛ ولكن من الثابت أنهم ينحدرون من الأسر الجرمانية الهندية Indo germanen وموطنها الأصلي أواسط آسيا . وكانوا في نفس الوقت الذي أخذت فيه روما توطد مركزها في جنوب أوربا يقطنون البلاد الواقعة على شواطئ بحر الشرق Ost see الممتد فيما بين بحر البلطيق وبحر الشمال . وكان أول من جاء بأخبارهم إلى العالم المتحضر في القرن الرابع قبل المسيح ، رجل رحالة مغامر إسمه بيتس (Pytheas) فأثبت أنهم يتكلمون بلهجات ألمانية دون شك ، إذ هي تختلف عن بقية اللغات الأوروبية الهندية (die Indoeuropaeische Muttersprache, The Indo - European mother-tongue)

وربما كان أول حدث سياسي هام يدل من كيان تلك الجماعات التي كانت تسكن المناطق الواقعة على بحر الشرق ، هو ذلك الذي أثار التفرقة بينهم وجعلهم فريقين : فريق الجرمانيين الشرقيين die Ostgermanen, West Germans وهم القوط Goten, Goths والعشائر التي استوطنت اسكندنافيا Skandnavia وفريق الجرمانيين الغربيين die West germanen, West Germans وهؤلاء كانوا يؤلفون الجنسيات الوطنية التي عرفت فيما بعد بالفريزية die Friesen, the Frisians والسكسون الأنجليز the Anglo - Saxons والجرمانيين البحريين die Niederdeutschen' the Law Germans — وهم الذين يتكلمون اليوم اللغة الهولاندية واللغة العامية الألمانية Plattdeutsch . ثم الجرمانيين العلويين die Hochdeutschen, High Germans . ومضت بضعة قرون قبل أن تستقر هذه العشائر في مواطنها الجديدة . وكانت غزوة الجرمانيين لأسكندنافيا قد تمت قبل مولد المسيح ببضعة قرون . ثم حفزتهم غريزة الترحال فيهم إلى الرجوع ثانية إلى الجنوب فأسسوا دولة الدانوب البحرية

أما الجرمانيون الغربيون فكانوا أقل من زملائهم سرعة في التطور ، إذ لم يدعهم يوليوس قيصر julius Caesar في القرن الأول قبل المسيح يستقرون في مكان ، وظلوا أشبه بالقبائل الرحل حتى كانت غزوة الهونيين die Hunen, the Huns في أواخر القرن الرابع ، التي ربكت عامة الجرمانيين

وكان النزاع بين الجرمان والدولة الرومانية قد استمر نحو نصف قرن ، مما دفع مؤرخي الرومان إلى حب الوقوف على أحوالهم . فكان منهم تاكيتوس Tacitus وهو في كتابه جرمانيا Germania كثير التدقيق والتحقيق ، وقد قال فيه إن الأبجدية لم يستعملها الجرمان في مراسلاتهم بشكل عام إلا في القرن الثالث . وهم ككل شعب مبتدئ ليس لهم شعر مخطوط . وفي أغانيهم القديمة ، وهي المستند الوحيد ، يحيون إلههم تيستو Tuisto الذي أنبتته الأرض كما يحيون ابنه مانوس Mannus لاعتقادهم أنهما أس الجنس الجرماني . وللبطل أرمينوس Armitnisu ذكر في أغانيهم . وكان له نشيد وطني معروف باسم بارديتوس barditus ينشدونه والدروع إلى أفواههم ليكون له دوي عظيم . وكانت أناشيدهم الدينية وأغاني تمجيد أبطالهم تقترن بالرقص ويسيرون في مواكب تشبهاً بالجرمانيين الأقدمين كما جاء في ذلك الشعر ؛ وكان قدماء الجرمان يطلقون على هذه الحفلات اسم لايكاس laikas وكانت هذه هي الخطوة الكبرى نحو المأساة Drama . وأضاف تاكيتوس إلى ذلك القول بأنه لا بد أن يكون للجرمانيين أدب له

البريد الأدبي

أعمال الاستكشاف في قلب أفريقية

قررت أكاديمية العلوم الفرنسية أن تمنح جائزة « البردى موناكو » الشهيرة وقدرها مائة ألف فرنك (نحو ألف وثلاثمائة جنيه) إلى العلامة الجغرافي المكتشف الأفريقي الجنرال تيلهو ، أحد أعضاء بعثتها الجغرافية ، وذلك لما قام به من الاكتشافات الخطيرة في منطقة بحيرة تشاد والأنهر المتصلة بها ، ومعاونته بذلك على وضع هذه المنطقة تحت الحماية الفرنسية

وقد كانت فرنسا تعنى منذ بعيد بشأن هذه البحيرة الشاسعة التي تقع في وسط أملاكها الصحراوية الافريقية ، وتؤثر أعظم أثر في مستقبلها الأقتصادى ؛ فجهزت إليها عدة بعوث علمية منذ أوائل هذا القرن ، ولما زادت أملاكها في تلك المنطقة باستيلائها على أملاك ألمانيا ، وتوغلها في السودان الغربي ، زاد اهتمامها باكتشاف هذه المنطقة وتحديدها وتأمين حمايتها ؛ ويمكن تقدير أهمية بحيرة تشاد متى علمنا أنها تغطى مسطحاً قدره ١٨٫٠٠٠ كيلو متر ، ويصب فيها نهران كبيران هما « شارى » و« لجونى » وعلى مائهما تقف حياة الملايين من سكان المناطق المجاورة ، وكان الجنرال تيلهو ، مذ كان ضابطاً فتى في أواخر القرن الماضي ، يهتم باكتشاف هذه المنطقة ، وينوه بأهمية مستقبلها الاقتصادى والسياسى ، وقد كان أول من استطاع أن يضع لها خريطة دقيقة ؛ وقد بدأ بارتيادها منذ سنة ١٨٩٨ ليحقق أبعادها بالنسبة لنهر النيل ونهر النيجر ، ولكنه لم يستطع أن يتوغل يومئذ في تلك الأنحاء لخطر قبائلها الهمجية . ولكنه عاد بعد بضعة أعوام فالتحق ببعثة الجنرال مول التي أوفدت لضبط حدود النيجر بين فرنسا وبريطانيا ، وفي سنة ١٩٠٦ عين رئيساً لبعثة جديدة أوفدت لاكتشاف المنطقة الواقعة بين النيجر وبوركو ، فاستمرت في تجوالها في تلك الأنحاء مدى ثلاثة أعوام . وفي سنة ١٩١٢ عاد على رأس بعثة أخرى ، وقضى في تجواله خمسة أعوام اكتشف أثناءها كثيراً من أسرار المنطقة الواقعة شرق بحيرة تشاد ، ومنطقة بركو ، وبيستى ودارفور ، وضبط وسائل المواصلة بين مستعمرات فرنسا الأفريقية الغربية والسودان الفرنسي (السودان الغربى) ؛ وعلى أثر هذا الاكتشاف العظيم عين الجنرال تيلهو عضواً في أكاديمية العلوم ومنح مدالية الاستحقاق الذهبية ؛ ثم أنعم عليه بعد ذلك بلقب عضو في المجمع العلمى ؛ والجنرال تيلهو جندى باسل ، وعلامة جغرافي ومحقق أخصائي في جغرافية أفريقيا الوسطى ، وقد قرر أن يخصص الجائزة التي منحت له لمتابعة أعماله واكتشافاته العلمية في تلك الأنحاء

ولم ينفذ العالم الأوربي إلى تلك الأنحاء الا منذ أوائل القرن الماضى ، منذ اكتشافات منجو بارك الاسكتلندى ، ورنيه كاييه الفرنسى ؛ ولكن يبدو من دراسة رحلة ابن بطوطة الرحالة المغربى الشهير أنه ارتاد كثيراً من تلك الأنحاء ، على أثر عودته من رحلته في الشرق الأقصى (في أواسط القرن الرابع عشر) ؛ وهو يذكر أسماء مدن ومواقع لم يعرفها الغرب إلا منذ قرن مثل سكوتو ، وغيرها

سحره وجماله الذى نجده عند الأوروبيين الهنود كافة . وللجرمان غير ما ذكرنا أغان للموتى ، وأخرى لانتصار الشمس على الظلام والزوبعة ، وغيرها عن الحدث الأكبر : موت النهار ، أو عن ذبول الصيف . وهذه الأغانى بقايا خرافاتهم القديمة عن الطبيعة

وكان القوط أول من نهض من الجرمان بحياة ثقافية . وفي دولتهم التي أنشأوها في المنطقة القريبة من الدنواب خطوا خطوات سريعة نحو الثقافة ونحو المدنية . ولعل مركزهم الجغرافى هو الذى ساعدهم على الاتصال بالفكر الأغريقى وبالمسيحية ، بينما كان إخوانهم في الشمال ما يزالون همجاً وثنيين

ويعتبر فولفيلا — الذئب الصغير (Wuelfila) أول من وضع أساس الأدب في لغة القوط

« للبحث صلة » إبراهيم إبراهيم يوسف

دائرة المعارف الفرنسية

كان الأدب الفرنسي أول ما ظفر باخراج الموسوعات الأدبية والعلمية والحديثة ؛ ويرجع تاريخ هذه الموسوعات الحديثة إلى أواسط القرن الثامن عشر ، حيث ظهرت جماعة العلماء المعروفة « بالأنسيكلوبيديين » وعلى رأسهم ديدرو، ودالمبر ، وهولباك وغيرهم. وقد ظهرت دائرة المعارف الفرنسية الكبرى La grande Encycl منذ أواسط القرن الماضي ، وتمت في أواخره ؛ ولكنها لم تطبع من ذلك الحين مرة أخرى ، وأضحت في عصرنا أثراً قديماً تنقصه عناصر هامة من العلوم والفنون والاختراعات الحديثة ، وتاريخ العالم منذ أواخر القرن الماضي ، وقد تقدمت الموسوعات الأجنبية على الموسوعة الفرنسية من هذه الناحية تقدماً عظيماً ، فصدرت الطبعة الخامسة عشرة من دائرة المعارف البريطانية سنة ١٩٣٠ ، وأضحت أثراً عظيماً شاملاً لآخر ما أخرج العصر من آداب وفنون وعلوم ؛ وصدرت دائرة المعارف الأيطالية الجديدة منذ عامين أو ثلاثة ؛ وصدرت دائرة معارف روسية حديثة . وقد اهتمت وزارة المعارف الفرنسية والهيئات العلمية الفرنسية منذ بضعة أعوام بأمر الموسوعة ، وألفت لجنة من أكابر العلماء والكتاب للأشراف على إخراجها في طبعة جديدة وعلى رأس هذه اللجنة ، السيو دى مونزى وزير المعارف السابق ، ومسيو لوسيان فابر الأستاذ بالكوليج دى فرانس ، وهو المدير العلمي للموسوعة ، ومسيو هنرى دى جوفنل الكاتب والسياسي ، والأستاذ بابان نقيب المحامين السابق ، ويوسف بديه مدير الكوليج دى فرانس ، وفرانسوا ميلان عضو الشيوخ ، وغيرهم من أكابر العلماء والمفكرين . وقد أتمت اللجنة تنظيم الأعمال التحضيرية ؛ وبدأت أعمال التحرير فعلاً ، والمرجو أن يصدر الجزء الأول في سنة ١٩٣٥ ، ثم تصدر الأجزاء تباعاً بعد ذلك ، حتى تغدو الموسوعة الفرنسية لائقة بما للأدب الفرنسي من مكانة ممتازة في عالم الآداب الحديثة

مدام آدم وعصرها

مدام جولييت آدم من أعظم كاتبات فرنسا ، وهى اليوم فى الثامنة والتسعين ، وقد لبثت مدى النصف الأخير من القرن التاسع عشر تتزعم الحركة الأدبية النسائية فى فرنسا ، وكانت بينها منذ أواخر القرن الماضى وبين زعيم الوطنية المصرية مصطفى كامل رسائل سياسية وعلائق صداقة وثيقة استمرت حتى وفاته

وقد أصدرت أخيراً كاتبة فرنسية أخرى هى مدام مانون كورمييه عن مدام جولييت آدم وعصرها كتاباً كبيراً استعرضت فيه حياة الكاتبة الكبيرة منذ تحريرها « للمجلة الجديدة » فى شبابها ، وما كان بينها وبين أكابر عصرها من علائق الصداقة أمثال جورج ساند الكاتبة الشهيرة ، وليون جامبتا السياسى الكبير ، وبيير لوتى الكاتب الأشهر ، وكان يسميها « بأمه العزيزة » ، وما كان لها من زعامة روحية وفكرية على كثير من المفكرين والكتاب داخل فرنسا وخارجها

الاحتفال بتوزيع جوائز نوبل

أقيم فى استوكهلم عاصمة السويد فى العاشر من ديسمبر الجارى الاحتفال السنوى الكبير الذى تمنح فيه جوائز « نوبل » وقد رأس ملك السويد بنفسه الحفلة كالمعتاد ، وتولى بنفسه تقديم الجوائز الممنوحة لممثلى الدول التى ينتمى اليها الكتاب والعلماء الفائزون ؛ فناب عن الكاتب الايطالى بيراندللو الفائز بجائزة نوبل للأدب سفير ايطاليا ، وناب السفير الأمريكى عن الأساتذة جورج مورفى وهوبيل ونويت الفائزين بجائزة نوبل للطب ، وكذلك عن الأستاذ هارولدادرى الفائز بجائزة نوبل للكيمياء ؛ ومقدار كل جائزة منها ١٦٢٫٦٠٧ كروناً سويدياً (أى نحو أربعة آلاف جنيه) ويعتبر هذا الاحتفال أعظم الاحتفالات العلمية

المصور « سم »

توفى أخيراً فى باريس أستاذ من أساتذة التصوير الرمزى (الكاريكاتور) هو الرسام « جورسا » المعروف فى عالم التصوير باسم « سم » Sem وهو الأسم الذى يوقع به صوره . وقد بلغ هذا النوع من التصوير فى العصر الأخير ذروة قوته وخطره ، وأصبح فناً قائماً بذاته ، يشترك مع القلم فى التعبير عن الحوادث والمشاعر ، ولا سيما أحداث السياسة ، وقد كان « سم » من أقطاب هذا الفن ، وكانت صوره الرمزية التى تنشرها جريدة « الجورنال » من أسمى ما أخرج الفن ؛ وكانت تمتاز بقوة التعبير والفكاهة اللاذعة المحتشمة معاً . ولبث « سم » يعمل فى قلم تحرير « الجورنال » أعواماً طويلة ، وقد توفى كهلا لم يجاوز الخمسين فى عنفوان قوته وفنه

القصص

من الأدب التركى

العـــذراء الدميمة

ترجمة عبد اللطيف أحمد

لم يتجاوز التفاوت بينهما فى السنّ غير عامين ، ولكنه فى الجمال وحسن الخلْق كان جد عظيم . لازم النحس (عصمت) منذ رأت النور ، فقد ولدت وأمها تكاد تفقد الحياة من معاناة مرض خطير ، بله آلام الوضع ، ولم يكن للأسرة هم إلا إنقاذ الأم من براثن الموت ، ومحاولة إصلاح ما أفسده مرض ذات الجنب من جسمها الرطيب ، فلم يرحب أحد بالقادمة الجديدة ، أو يفكر فى أمرها حتى الأم — وا أسفاه — كأنها فى هذه اللحظة قد فقدت غريزة الأمومة ، فلم تنظر إليها حينما تلقفتها يد القابلة إلا كما تنظر إلى خرقة بالية !

ولم يكن حظها من عناية أبيها بأوفر منه عند أمها ، فكثيراً ما كان يراها وهى ملقاة على الأرض تشارك الكلب فى مزجره ، وفى يدها هنة تشبه قطعة الخبز دون أن تتحرك فى قلبه عاطفة الأبوة نحو التى أتى بها إلى الحيـاة على كره منها ؛ وهكذا سرت العدوى إلى سائر أفراد الأسرة وكأنها وترتهم جميعاً قبل أن تأتى إلى هذا العالم ، فلما واتتهم الفرصة ثأروا لأنفسهم بأهالها والحط من شأنها ، ولولا وشيجة الانسانية لقضت هذه التعسة جوعاً فأراحت واستراحت

* * *

أسندوا أمر العناية بها إلى ظئر خامل كسول ، فلم تعطها من الرعاية إلا المقدار الذى يسمح لها بالحيـاة ، فشبت الى أسفل ، وكأنها كانت تسير فى نموها نحو مركز الأرض !

شاء القـدر أن يصور للناس صورة ناطقة للقبح الجسمانى ، وينصب تمثالاً حياً للتنافر الجسدى ، فكانت (عصمت) كما أراد: عينان غائرتان لا يكاد يبدو منهما نور الحياة ، وخدان شاحبان بل عظمان عاريان إلا من ذلك الجلد الحائل ، بينهما نتوء يشبه الأنف ، تحته شفتان ضل سبيله إليهما الدم !! يضم كل هذا وجه أشبه بوجوه الموتى ، إن فقد معالم الحسن فلم يفقد معانى الرحمة والرثاء ، ينوء بذلك جذع ناحل وأطراف هزيلة

وهنا يجدر أن نسائل أنفسنا : أيكون القبح عقبة فى سبيل حب الوالدين لفلذة كبدهما ؟ ؟ ! . . .

هذا مالا نستطيع الجواب عنه ، ولكن الذى نعلمه أن عاطفتهما نحو (عصمت) كانت أشبه بالرحمة منها بالحب ، وحسبنا مصداقا لهذا محاولتهما البعد عنها تحت تأثير غريب كان يستولى عليهما كلما لحاها

* * *

استردت الأم صحتها بعـد جهاد عنيف ، ودبت العافية فى جسمها دبيب الراح فى جسم شاربها ، فشبا خداها ، وبرقت عيناها ، وغمرت الهناءة وجهها ، وجرى ماء الحيـاة فى جميع أطرافها ، وبينما هى على وشك الظفر بالنصر الحاسم على عقابيل المرض المنهزم ؛ إذا هى تحس حركة فى أحشائها تؤذنها بزائر جديد ، فاستخفها السرور ، وحملت البشرى إلى زوجها باسمة ، ثم ذاع الخبر بين أفراد الأسرة ، فعمهم البشر كأنه يولد فى هذا المنزل لأول مرة ، وكأن (عصمت) المنكوذة الحظ لم تكن فى الحسبان !

أخذوا فى إعداد العدة لاستقبال هذا الوليد ، وطفقت الوالدة تهىء الأقمطة الناعمة ، والأقمشة الفاخرة ، وذهب الوالد يبحث فى الأسواق عن أحسن مهد وأثمن هدية ، وكان شغله الشاغل فى شهور الحمل البحث عن كل ما يسعد الوالدة والمولود

* * *

وبينما (عصمت) تعبث فى غرفة الخدم ، تحبو كأنها الحشرة لا يعبأ بها أحد ، ولا يعيرها التفاته إنسان ، والجميع فى شغل شاغل — فقد جاء الأم المخاض — إذا القابلة تقول : كأنها قطعة من نور . . ! يا أم ابنتى هلا نظرت إليها . ؟ وكان هذا إيذاناً منها بانتهاء الأمر . . . لم تصدق الأم بادئ بدء ، وسألتها جازعة : تشبه من ياترى ؟ وكأنها تخاف أن ينكبها القدر مرتين ، ولما يزل شبح (عصمت) يتراءى لها . فأجابتها بلهجة الظافر . تشبه من . ! ؟ لمن يحتمل أن تشبه سوى أمها وأبيها . . ! ؟ وشاع البشر فى وجه الأم حينما وجدت مصداق قولها فى وجه ابنتها الجميل التكوين

* * *

علم أهل الحى فجاؤا مهنئين ، وحفلت الدار بهم ، فصارت الأم بما ملكها من الزهو بوليدتها الجميلة تكشف لهم عن وجهها ، وهم يرتلون آيات الأعجاب بها ويكررون كلمات التهنئة ، وأخذوا يتخيرون اسماً لطفلتهم ، وأى اسم يؤدى كل هذه المعانى التى تنم عنها ملامحها من الحسن الرائع ؟ إن كل ما نذكر من الأسماء غير واف بتلك المعانى . فليبحث أبوها إذن فى المعاجم ، وليسأل الغادى والرائح عله يظفر بضالته التى ينشدها . . . بعد جهد ، خطر له اسم لبطلة قرأ عنها فى إحدى القصص ، فأطلق عليها (لمعان)

* * *

تعاقبت الأيام ، وشبت (عصمت) فبدأت ترقب طفولة أختها المرحة المترعرعة ، وترى من إعزازها وإعجاب الأسرة بها ما لم تظفر فى يوم من الأيام ببعضه فتعجب ، ولكن سرعان ما تهديها غريزتها إلى أن بها نقصاً ، فيعتريها شعور مبهم غامض ؛ أهذا هو السر فى أنها ليست محبوبة ، وأنها أدنى منزلة من تلك التى تتبوأ ذراعى أمها مفترة الثغر باسمة الملامح ؟ كانت (عصمت) مرهفة الحس إلى حد بعيد ، وكأنما عوضها الله سبحانه مانقص من خلقها بكمال حسها ودقته — ويا ويل من دق حسه وقصرت يده عما يريد . . !

كانت ترى الفارق كبيراً فى معاملة أبويهما لهما فيعتريها من الألم والحسرة ما دونه وخز الأبر ووقع السهام

ينظر الوالد إلى أختها التى لا تفارق ذراعى أمها فينشع من عينيه السرور ، حتى إذا وقع بصره على (عصمت) أطلت الشفقة من وجهه ، وكأنها تسخر من هذا المخلوق العجيب ، وربما تصدق عليها بقبلة تدرك معناها فتشعر برعدة المحموم من فتورها وبرودتها ، وقد يخيل إليها أن الثلج طفق يذوب من موضعها ، فتذوب حسرة وألماً ، وتجر جسمها الهزيل جراً وتنزوى فى ركن قصى ، ويعوزها البكاء فلا تجرؤ عليه ؛ وقد تحاول التمرد على أخذها بجناية لا يد لها فيها فيقعدها العجز عن السير فى هذه السبيل

* * *

بقيت (عصمت) تعانى من أمرها ما تعانى ، و (لمعان) تتفتح كزهرة الربيع ، ترعاها عناية الأب ويكفلها حنان الأم وعطف الأسرة ... أكسبها كل هذا نضارة فوق نضارتها ، ونشاطاً فوق ما طبعت عليه من الخفة والمرح ودوام الابتسام ، ولا عجب ، فهذا شأن كل من اطمأن على أنه استوى على عرش القلوب وتملك ناصية الأفئدة

* * *

أقبل العيد ، واشترى الوالد لكل من ابنتيه ثوباً من المخمل القرمزى الجميل ، فكان لهذا — فى أول وهلة — من الأثر الطيب فى نفس الأختين ما سرهما ، ولكن شد ما اختلف شعورها بعد ذلك ! رأت (عصمت) أختها وهى تختال فى ثوبها الجديد ، وقد أفاضت عليه من حسنها ما ضاعف بهاءه ورونقه ، ثم تأملت نفسها فكادت تصعق . . . . . . إنهما من نوع واحد ! ولون واحد ! ومن صنع يد واحدة ! فما بال أحدهما يصعد إلى قمة الحسن ، وينزل الآخر إلى أحط دركات القبح ! ؟ هل شارك الجماد أبويها فى إذلالها والزراية بها ؟ هل يميز الثوب بين الوسامة والدمامة حتى يصدمها هذه الصدمة الأليمة . . . ! ! ؟

إذن أف له ما أقبحه ، وما أشد بغضى له ! . ناجت نفسها بكل هذا ، والألم يحز فى أحشائها حزاً تحس أثره اللاذع فى السويداء من قلبها ، وكأنها نسيت نتوء عظام كتفيها ، وهزال جسمها ، وشحوب لونها الأسمر الذى ضاعفه لون ثوبها الجميل ؛ على حين تخلع (لمعان) من روعتها ونضارتها على ثوبها ما يزيده جمالاً وروعة

هتفت بالأختين مربيتهما : هيا قبلا أبويكما وهنئاهما بالعيد ... لبّتا الأمر ، ومشت (عصمت) على استحياء والهم يملأ فؤادها المكلوم ، وقد سبقتها (لمعان) — وكأنها ظبي أهيج — في خفة ورشاقة ، ولكنها انتظرت مقـــدم أختها لتتقدمها في أداء هذا الواجب

مشت البائسة مطأطئة الرأس ، مكتئبة النفس ، في وجوم يكاد يكون بلادة ، ثم تناولت أيدي أبويها وقبلتها ، فبادلها كل منهما بقبلة ، وكأنما يقبلان جثة هامدة لما غشيهما من الحزن والكآبة ، ولكنهما ما لبثا أن تهللا حينما جاء دور (لمعان) . .

يا لله للمحدود التعس . . ! ! حتى في اليوم الذي يفرح فيه الناس جميعاً ، ويتناسى كل حزين حزنه ، وكل بائس بؤسه ، تطعن هذه الشقية تلك الطعنة النجلاء !

ظلت (عصمت) شاخصة ، وسرى من روحها الحزين تيار قوى شل حركات الجميع فجمدوا كأنهم التمـــاثيل ، ولم يخرجهم من هذه الحال إلا (لمعان) حينما تحركت ، وكأنها أدركت فجأة مقدار ما أصاب أختها من غبن وما نالها من شقوة ، فجاش قلبها بالرحمة والحب ، فاحتضنتها وتعلقت بها ، وبذلت جهدها حتى طبعت قبلتها على جبينها ، ولكن (عصمت) لم تبادلها إياها ، وكان هذا عن غير عمد منها ، فقد كانت شـاردة اللب ، كليلة الذهن ، يضطرب صدرها بشتى الآلام وضروب الأوجاع ، وقد أيقنت في هـذه الساعة بما كانت لاتشعر به إلا محاطا بالغموض والأبهام ، وحاولت أن تجزى أختها بما فعلت ، فاحتضنتها وأرادت أن تقبلها ، ولكنها انفجرت باكية في نشيج محزن ، وأخذ صدرها يعلو ويهبط ، وعيونها تفيض بغزير الدمع وهي تحاول منعه ، ولكن هيهات فقد أفلت من يدها الزمام

***

منـــذ تلك الساعة (وعصمت) في هم دائم ، حتى الابتسامة التي كانت تزور شفتيها لماما ، وكأنها ضلت طريقها الى الثغور الفرحة ، فأوقعها سوء الحظ في هذا الثغر الحزين ... حتى هذه الابتسامة غادرتها الى غير رجعة ، فقد أزالت تلك الدموع الحارة التي ذرفتها عيناها يوم العيـد الغشاوة التي طالما حجبت عنها الحقيقة في أيامها الأولى

وأيقنت أن جرحها عميق بعيـد الغور لايرجى له برء ، ولايعرف له دواء ، وكلما تقدمت سنها قوى عندها الشعور ، وضوعف الألم . . . . . .

أما (لمعان) ففي شغل عنها بزينتها ولهوها ومرحها

***

كبرت الأختان ، وأشرفتا على سن الزواج ، وأصبحت (لمعان) فاتنة المدينة ، وغادتها الفريدة ، وشرع الأبوان في إعداد مايلزم لزفاف فتاتيهما ، كسباً للوقت واستعداداً للطوارىء ، فكانت (لمعان) تجلس الساعات الطوال ، تصور لنفسها ذلك المستقبل السعيد الذي ينتظرها ، بينا (عصمت) تتخيل في كل أداة تهيأ لها حية تنهش فؤادها ، أو سهماً يسدد الى قلبها ، فكل شيء يذكرها بذل الخيبة ، ومرارة الفشل . . . .

الزواج ! نهاية الأمل ، وغاية الرغبة ، وهل عاش لها أمل أو بقيت لها رغبة ؟

لقد فقدت الأمل ، ولقـد فقدت الرغبة ، ولم يبق لها إلا إحساسها ، وكم كانت تجاهد المسكينة نفسها حينما تعرضها أمها الى جانب (لمعان) على الخواطب ....

وهل تنتظر منهن كلمة الأعجاب التي لم تظفر بها في يوم ما من أبويهـا ؟ وهل هن أشفق على إحساسها وأرحم بفؤادها منهما ؟ . . . . إذن فليذُب كبدها ، ولتتقطع أوصالها ، وهي تساق الى ذلك الموقف سوقاً ، ولتتحمل على الرغم منها تلك المخالب التي تنشب في أحشائها وتمزقها تمزيقاً ، ولتتقبل كارهة ذلك الأعراض الساخر وقلما يأتلق للخواطب نور (لمعان) بجانب دمامتها

هاهي ذى أمامهن تدور بعينيها في الغرفة تلتمس الخلاص كما يلتمسه الطائر السجين فلا يجـده ، وقد خيل اليها أن الفلك قد وقف عن دورانه في هذه اللحظة الطويلة ، حتى اذا أُذِن لها بالخروج بادرت متهالكة وقذفت بنفسها الى غرفتها وكأنها فرت من الجحيم فتغلق عليها بابها ، وتنزوى في ركن من أركانها جامدة الحركة ، كسيرة الجناح ، واهنة القوة ، لاتستطيع نزع ثيابها ولا النظر في مرآتها ، وتظل شاخصة ببصرها الى نقطة وهمية ، وعواطفها تلتهب بين جوانحها حتى يكاد يحترق جسمها النحيل

أما (لمعان) فتذهب متهللة الى غرفة الخدم ، وتسر الى فتاة لعوب منهن كانت تصطفيها — ما كان من أمر الزائرات معها ،

وكيف كن يحدقن فيها ويداعبنها ، خصوصاً تلك السيدة الشابة ذات المخمل الأزرق المكسو بالفراء ؛ كانت تقص هذا على صاحبتها وهى مفترة الثغر ، مشرقة الجبين ، تنطق أساريرها بما استولى عليها من الزهو

***

ظل الخواطب يترددن على منزل الأسرة عامين كاملين ، و (عصمت) تكتوى بنار العرض عليهن ، الى أن صهرتها الآلام وحولتها الى مخلوقة أخرى ، الى قديسة تنشد الصبر ، وتطلب من الله العزاء ، وكانت تسمع عقب كل زيارة همساً ينبعث من غرفة والديها لم تتبينه بادىء الأمر ، الى أن سمعت أباها ذات مرة يقول للمعان وهى تدخل عليهما الغرفة بغتة : لاشك يا ابنتى فى أنك تقبلين الانتظار حتى تتزوج أختك بصدر رحب ، أليس كذلك ؟

فصمتت (لمعان) خجلاً ، ولكن هذه الكلمة فعلت فى نفس (عصمت) ما فعلت فاعتزمت أمراً . وما زالت ترقب الفرصة لما اعتزمت حتى لاحت لها عقب زيارة بعض الخواطب ، وقد طلب الوالد من ابنتيه أن يذهبا الى مخدعهما ، وحينئذ لم يخف على (عصمت) أن أباها يريد أن يخلو الى أمها ليحادثها فيما جاء من أجله الخاطبات ، فاختفت بحيث تنصت لحديث والديها دون أن يراها

سمعت أباها يقول : لا لا . لا يمكن أن نزوج الصغرى ونترك (عصمت) فريسة للهواجس ، فتقول أمها وهى تحاوره :

لقد انتظرنا طويلاً ، وليس من الحكمة أن نغامر بمستقبل (لمعان) فى سبيل أمل دلت الشواهد على أنه لا يتحقق ، وإذا لم تتزوج (لمعان) فلا سبيل إلى زواج (عصمت) وتكون العاقبة تضحية الاثنتين ؛ وهذه جريمة لن أوافق على اقترافها أبداً . . .

لم يجر أى حديث فى شأن (عصمت) فى زيارة من تلك الزيارات العديدة ، ولم تذكر على لسان أحد بزواج ، بينما تلح الخواطب إلحاحاً شديداً فى طلب (لمعان) فلم هذا العناد جرياً وراء سراب خادع ووهم باطل ؟

ولو أن سهماً أصاب فؤاد (عصمت) لما تألمت كل هذا الألم الذى اعتراها عند ما صك سمعها هذا الكلام . أى بلية جديدة وأى نكبة . ! ؟ ؟ أتكون عقبة فى سبيل إسعاد أختها ؟ لقد شربت كأسها وحدها صابرة محتسبة ، فهل تكون سبباً فى شقاء غيرها . . ؟ ؟ . لا . إن هذا لن يكون أبداً

هذا ماتحدث به ضمير (عصمت) . أما أبوها فأخذ يقول لأمها :

تحاولين عبثاً إقناعى بزواج (لمعان) أولاً ، وإنى لأفضل تضحية الاثنتين على أن أرى كبرى بناتى تموت غماً ، وأكون مع القدر عليها

واستمر فى حديثه و (عصمت) ترتجف خلف الباب تأثراً ، ولم تستطع كبح جماح عواطفها طويلاً ، فاقتحمت الباب عليهما صائحة :

كلا يا أبتاه . إن (عصمت) لن تتزوج ، فهى لم تخلق للزواج ؛ إنها دميمة ، ولن يبحث الأزواج عن الدميمات ، ارحمها يا أبتاه ، ولا توقفها ذلك الموقف المؤلم ، ودعها تحيا فى ظلك ما قدر لها ، إننى بائسة فلا تجعلنى حائلاً بين أختى وبين سعادتها ومستقبلها ، وأجهشت باكية ، فبكى أبواها رحمة بها وإشفاقا عليها

***

مرت الأيام ولم يجد الأبوان أمام إلحاح (عصمت) وإصرارها بدا من زواج (لمعان) ، وقد اغتبطت عصمت لذلك اغتباطاً شديداً ، وكانت ترى فى خدمة أختها وزوجها بعض السلوة

***

انقطعت زيارة الخواطب منذ تزوجت (لمعان) . وناءت (عصمت) بعبء ما مر بها من خطوب ، فأصبحت وهى فى عقدها الثانى كأرملة فى الثمانين ، وقد زهدت الحياة وملتها حتى وضعت (لمعان) طفلاً جميلاً فاتخذته ولداً لها ، ولم تكن لتتركه لحظة واحدة ؛ جعلت له من صدرها مهداً ، ومن عنايتها حارساً فشب على حبها ، ووجدت لذلك برد الراحة ، فحببت إليها الحياة ، وكانت تعتقد أنها جوزيت على جميل صبرها خير الجزاء حينما تداعب الطفل فيطوقها بذراعيه الصغيرتين ، ويغمر وجنتيها الجافتين اللتين لم يسعدهما الحظ لثماً وتقبيلاً وهو يقول : خالتاه . . . ما أحيلاك يا خالتاه . . . !

اسكندرية — عبد اللطيف أحمد

من الأدب الفرنسي

هنريت البائســـــة

للكاتب الفرنسي أندريه موروا

لشد ما كانت دهشتي عند ما دعاني صديقي روبير بالتليفون الى زيارته بمنزله ، لقد جالت فى نفسى خواطر كثيرة أثارت على حربا من الشكوك والريب . لقد كنت أشعر بحنان شديد وعطف خالص لزوجته هنريت ، وكان روبير حسن الذوق لطيف المعشر ، يميل الى المداعبة فى شيء من المجون ، وهو بعد عاشق من عشاق الخمر الذين يتهافتون على الكأس ولا يتركونها إلا الى الكأس

ماعهدت في حياتي ولاء مثل ذلك الولاء الذى كانت هنريت تتعهده به طوال خمسة عشر عاماً لم تذق خلالها يوماً واحداً من السعادة

لقد لقيته فى اليوم نفسه وتصافحنا ثم جلست قبالته ، وظل صامتاً ثم حرك يده فى هدوء ، وأخرج علبة سجائره وتناول إحداها ثم أشعلها وأومأ الىّ برأسه ثم قال :

— إن لى عندك حاجة فهل لك أن تقضيها . . ؟ وعليك فى الحالين أن تصدقنى الوعد . . . إننى لن أسيئك فى مادة ، ولن أجهدك فى عمل ، وإنك تعلم أن هنريت تحترمك وتأخذ بآرائك من غير تفكير ، وحسبك هذا منها دليلاً على ثقتها بك . إنك رجل قد خبرت الحياة ولابستها وعرفت عنها كثيراً . . . وهنريت عاقلة تفهم عنك ذلك بقدر ما أفهم أنا عنك . لقد عرفت بتجاربى الخاصة أنك رجل سديد الرأى ، ولا يفوتن صواب قريحتك أن نصائح الزوج لا تلقى من الزوجة أذناً صاغية ، ثم نفث من فمه نفثة غليظة من الدخان ، ونظر الىّ بعينين يفيض منهما الحنان والألم ، وعقب قائلاً

— فكر معى يا عزيزى — لقد قيضت لى الظروف عند عودتى من المؤتمر لقيا امرأة ، أو لتقل فتاة ، ولعت بها لساعتها ، هى من أهل الشمال ، وقد تبين لى ذلك من لهجتها وصوتها ، وقد تعجب يا صديقى إن قلت لك إن هذه اللهجة وذلك الصوت الأبح ، هما اللذان أسرا لبى وملكا على قلبى . . لقد بعثت فى هــذه الفتاة حياة جديدة . . أوه يا صديقى ما أشد قسوة الظروف وما أمرها ! لا يكاد الانسان منا يتناول الكأس إلى شفتيه الظامئتين حتى يعيدها مجبراً قبل أن ينال منها رشفة

هكذا كانت رحلتنا فى الطائرة . . لم يتسع الوقت لأن نجرع من الكأس ولو جرعة . . إنك تعرفنى يا صديقى . . أنا لا أطيق صبراً على شئ تداعبه نسمة من الشك . . وتعرف أن لذة الانتصار يدفعها جنون الغرام تحملنى على أن أركب متن الشطط حتى أنتهى . . .

ولقد دعانى المؤتمر اليه فى الشتاء القادم — وستبقى هنريت — هنريت المسكينة . . ستبقى هنا يا صديقى ، وستبقى بجانبها أنت لتقوم بدورك فقلت :

— بينك وبين زوجتك ! . . ومن أين لى ذلك . !

فقاطعنى قائلا :

— رويداً يا عزيزى . . هون عليك فالأمر سهل يسير ولن أذهب بك إلى شئ غير ما يصلح من شأن هنريت ، لقد أخذ يتسرب إليها الشك فى تلك الرحلة حتى صممت على مصاحبتى . . . وإن ذلك لأمر قريب المحال . . كل ما أريد أن أستمده منك من معونة لا يكلفك إلا أن تفوه ببضع كلمات ، وستحدثك هنريت فى هذا الموضوع وتصارحك بكل شيء . . .

فسر لها يا صديقى حاجة الكاتب إلى الظهور فى مثل هــذا البلد الغريب الذى سأرحل اليه حتى تسوغ سفرى . ثم قل لها إن الوقت سيكون قسمة بين ولائم تورث النفس السأم ، ومقابلات رسمية تبعث فيها الضجر والملل ، ولا يفوتنك ذكر تكاليف الرحلة ، فكيف بها إذا صاحبتنى وأنا أحرص على راحتها ، وأخيراً حل بينها وبين مرافقتى ، وخفف من غلوائها فهى لابد لنصحك مستمعة ، ولرأيك خاضعة ، ولسؤالك مجيبة ، ولا تنس — لا تنس أن تقرب إلى ذهنها أنى لا أزال باقياً على حبها ، وأنى سأسهر على سعادتها ما حييت ، وفى الغد ستسنح الفرص لأشهر طوال أعيد إليها خلالها ذكرى أيامنا الماضية الجميلة

لقد دام حديثه قرابة ساعة ، بينما كان صوت أصابعى وهى تنقر على المائدة التى جلسنا حولها فى غير انتظام يتجاوب صداه فى أنحاء الغرفة ، وأخيراً تركنى من غير أن يطمئن الى وعدى ،

وبعد الظهيرة بقليل لم أشعر إلا ويدى تحمل آلة المسرة ولقد كانت مصادفة غريبة عند ما سمعت صوت هنرييت تناديني

— برتراند !... كيف حالك يا عزيزى الصغير ؟... أظن أن فى وقتك بقية اليوم متسعا للقائى ، فهل تسمح بزيارتى ؟.. سأعد لك فنجاناً من الشاى ، وربما يكون هناك مشورة بينى وبينك . . . أسرع يا عزيزى

* * *

لقد كانت ممسكة بكتاب « باخ » تحركه فى يدها فى طفولة بريئة ، لم تكن هنرييت تقل عن الأربعين ، ولم تكن تزيد عليها ، ولكنها ظهرت لى فى هذه الليلة فى ثوب فضفاض ، وقد شاعت على قسماتها أشعة من نور الشفق الأحمر الحائل كامرأة فى الثلاثين

قالت لى فى غير تكلف :

— ياصغيرى برتراند ! — سأ كلفك أمراً تؤديه إلى — واعلم أنى سأكون لك مطيعة . . . ولأمرك سميعة . . .

— إنك تعلمين علم اليقين يا هنرييت ...

فقاطعتنى قائلة :

— هيه ياعزيزى برتراند ! ليس فى الوجود رجل أوليه ثقتى غيرك ، ولكن الأمر خطير . . . عزيزى برتراند . . . انى ... أحب ... أحب شاباً يصغرنى بكثير ... إنى أعلم أنك ستمقت هذا الشاب وستحقد عليه وسيتملكك السخط علىّ اذا قلت لك أن بينك وبينه تباينا كبيرا ... هو شاب سلافى جميل طالب بكلية باريس ، وهو فوق ذلك راقص ماهر ومثقف الى حد كبير ، ورغم ذلك لا أرتاح اليه كثيراً ، إذ هو مجنون ، دنىء الأصل كما يتبين لى .. ولكنى على الحالين أحبه . . وأنا سعيدة به

فقلت :

— أوه . . . وروبير . . ! !

— روبير لا يعرف شيئاً عن هـــذا الحادث . . . روبير يرعانى كمن يرعى امرأة مسكينة ، أو كمن يشفق على خادم بائسة عضها الدهر ... لقد صرت بغيضة اليه وهو بعد فى شغل عنى بفتاة دانيمركية

— كيف ؟ أتعلمين هذا الخبر ؟

— هوه !... منذ أمد بعيد ، وكيف عرفت أنت ذلك ؟ !

— لقد كان روبير عندى اليوم صباحاً

— أحدثك عن هذا الموضوع ... ياله من نذل جبان !... إن صراحتى لك تجيز لى التماس ضراعتك .. استمع لى يا برتراند .. سيسافر روبير ، وسيقضى فى رحلته خمسة عشر يوماً من شهر أكتوبر القادم ، وسأطوف أنا و « فيدين » الجزر الاغريقية

فقلت :

— هنرييت : لا حاجة إلى أن أعيد على مسمعك أن ليس هناك أمنية لروبير غير السفر ، ولكنه لا يعتقد . . .

فقاطعتنى قائلة :

— استمع يا برتراند ، إنى على يقين من سفره . ولقد أخبرنى أنه صمم على ذلك ، ولكنى عارضته ، وبكيت وتوسلت اليه ، وأخاف أن يوهن ذلك من عزمه

— لقد عسر على الفهم . . لم هذه الكوميدية . . . ؟

— إن ابتسامة واحدة منى يا برتراند لكافية أن تكشف الستار عن نصف رغائبه على الأقل ، وأن تخلق فى نفسه الشك فى عانى بأمره . . . وكل ما أرجوه منك يا عزيزى الصغير أن تحبذ له فكرة السفر وأن تحمله على الاعتقاد بأن فى هذه الرحلة ضماناً لمستقبله وعظمته ، وإذا ما غير من رأيه وفضل البقاء على الرحيل فلا بد أن يغير من هذه الطريقة فى معاملته لى ، وأن يزيل من نفسه هذا النوع من الشفقة الخسيسة علىّ ، وقل له إن هو هجر البيت مرة فانه سيعود فيجده خراباً . . ألق فى ذهنه هذه المعانى وقل له إن سبيل التعزية الوحيد فى غيبته — هو الرحلة الصغيرة التى أفهمتك عنها

فقلت : مسكين أنت يا روبير !

فقالت فى هدوء : حقا . . انه مسكين !